6 me Année, No. 275

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 10 - 10 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــــدد ٢٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

فى سبيل فلسطين

المؤتمر البرلمـــــانى

للأمم العربية والاسلامية

لأول مرة فى تاريخ العروبة والحنيفة يجتمع وفود الأمم الإسلامية الشرقية والغربية فى مكان واحد على شعور متفق وغرض مشترك وسياسة عامة. ولهذا الحادث الفريد المجيد معان من الدعوة النبوية التى قامت على جلجلة الوحى ويقظة الضمير، وانتصرت بقوة الإيمان وعبقرية الجنس، وانتشرت بوحدة العقيدة والفكرة والهوى والألم. فإن السبب الأول فى نجاح الدعوة الكبرى إنما يرجع إلى يقظة الحس العربى واستعداده للكمال الروحى والاجتماعى فى زمن البعثة، كما تتيقظ الأرض وتستعد للتجدد والإثمار فى زمن الربيع. ومحنة فلسطين على فداحتها لو حدثت فى غير هذا الوقت لمرت على مشاعر العالم الإسلامى كما تمر الريح العصوف بالصخور الصم فى الجبل، أو بالجذور الميتة فى الغابة. وهل مأساة فلسطين إلا فصل من مأساة الأندلس؟ ومع ذلك حدثت تلك على مسمع الدول العربية والإسلامية فلم تثر لمحنتها أمة، ولم تتفق على نصرتها كلمة؛ وانقطع أنين الأندلس الشهيدة على فنون شتّى من عذاب الجسم والروح، والمسلمون والعرب غافون

من خـدَر الذل والاستكانة لا يحفلون بالوجود ولا يشعرون بالزمن . فلو كان الألم وحده مغنياً في إيقاظ الشعور وتأليف القلوب وجمع الأيدى، لكانت هذه النكبة وحدها حرية بتوحيد الأشتات وبعث الأموات وتناصر الأخوة

أريد أن أقول إن هبّة العرب والمسلمين لنجدة فلسطين إنما انبعثت عن حياة جديدة ، كانت فلسطين مظهراً لها لا سبباً فيها ؛ وهذا هو الأمر الخطير الذي ينبغي لخصومنا أن يحسبوا حسابه ويتدبروا عواقبه . فان فلسطين نفسها ما كانت تستطيع بفقرها وقلتها أن تنازل اليهود وهم أغنى الشعوب، وتصاول الانجليز وهم أقوى الدول ، لولا هذه الحياة الجديدة . وصحوة العرب ليست كصحوة غيرهم من الأجناس ، فقد صحوا صحوتهم الأولى فملكوا الأرض والسماء، وخلّفوا الرسل والأنبياء، وقادوا العقول والأهواء، ولا يدرى إلا الله ماذا يفعلون في هذه الصحوة الأخرى

* * *

في الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة الماضى اجتمع في مؤتمر القاهرة البرلماني المغرب ومصر وفلسطين وسورية ولبنان واليمن والعراق وإيران والهند والصين ويوغسلافيا وعرب المهجر للدفاع عن فلسطين ، فكان هذا الحشد الحاشد في لغة الحرب تعبئة عامة لقوى العروبة والاسلام ذياداً عن جزء عزيز من أجزاء وطنها الأكبر، دهمه المستعمر بالقوة ، واقتحمه المستثمر بالحيلة ، فوقف يدافعهما عن قوته وعن سكنه ، ولا وزر إلا الحق ، ولا عُدة إلا الصبر ، ولا سبيل إلا التضحية . أجل ، عبأت العروبة قواها بعد أن سألت انجلترا الحق فلم تعط ، وناشدتها العدل فلم تجب ، وأهابت بضمير الإنسانية في قاعة العصبة، ودار البرلمان، وإدارات الصحف ، فلم تجد إلا طمعاً ختم على الأسماع ، وهوى غشّى على الأفئدة ، وسياسة قامت على المقايضة والمقارضة بين القوى والقوى على حساب المخدوع والضعيف

لقد بلغت القضية الفلسطينية اليوم حد الفصل ، فهيهات يغنى الجدال والمطال والخديعة . كانت فلسطين قبل هذا المؤتمر تجاهد العدو وحدها بالاستبسال والمصابرة ، وإخوتها في الشرق والغرب لا يمدونها إلا بأسلحة العجز من كلام ودموع . فلما رأوا أن حقهم يميته القول ، وباطل غيرهم يحييه الفعل ، جمعوا أمرهم على الجد ، وطووا قلوبهم على العمل ، وقالت مصر على لسان نائبها وخطيبها الأستاذ علوبة باشا : « إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، ومن الخير أن تعمل الوزارة الإنجليزية على البت في مأساة طال أمدها وتنوعت كوارثها ، فاما اعتراف بحق المظلومين ، وإما جنوح إلى باطل الصهيونيين » . وقالت العراق بلسان نائبها مولود باشا مخلص : « إن السلام لا يمكن استقراره إلا بحل عادل لمشكلة فلسطين ، وإن العراق مستعدة لأى عمل لإنقاذ فلسطين » . وقالت سورية بلسان ممثلها وخطيبها الأستاذ فارس الخورى بك : « إن قيام دولة أجنبية بين نحر الأمة العربية وقلبها لا يوافق عليه العرب بحال من الأحوال . وفلسطين قلب العروبة حقاً، لأنها تتصل بمصر وشرق الأردن والعراق وشطرها الآخر : سورية » . وطالبت الهند إلى انجلترا بلسان رئيس وفدها الأستاذ عبد الرحمن الصديقى أن تختار إما المسلمين وإما أعداء المسلمين . وقال : « إن ثمانين مليوناً من الهند على استعداد لأن يلبوا أول صوت يصدر عن القاهرة » . وقالت سائر الأمم على ألسنة وفودها مثل هذا ، فلم يبق لانجلترا حليفة العروبة والإسلام إلا أن توازن بين ذهب الصهيونيين ، وصداقة العرب والمسلمين ، وتنظر إليهما في كفتى الميزان فتعلم أيهما أرجح وزناً في الحرب العالمية المقبلة ، وأغلى قيمة في السوق الاقتصادية العامة ، وأقوى أثراً في إقرار السلم في الشرق القريب والبعيد

* * *

إن حياة انجلترا في السلم ، وشرفها في العدل ، وسلطانها في الديمقراطية ؛ وفلسطين كانت منذ أنشأها الله بلاء على المعتدى وشؤماً على الظالم . وقد التقى عندها الغرب والشرق مرة في عهد عمر ، ومرة في عهد صلاح الدين ، فكانت العاقبة في كلتا المرتين غروب الغرب وشروق الشرق ، فهل يريد تشمبرلن رسول السلام ونصير الإنسانية أن يجمعهما على ثراها مرة ثالثة ؟

احمد حسن الزيات

فلسطين لا تقهر

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

كنا فى حديث فلسطين يوما ، فأخذ بعضنا يصف ما يبدى الثوار من الجرأة ، والذكاء ، وسعة الحيلة ، وحسن التدبير والحكمة ، وروى فى هذا المعرض قصصا عجيبة ، فهم بالقليل الموجود من السلاح القديم ، يقاومون أمضى الأسلحة الحديثة ، من طيارات ، ودبابات ، ومدافع جبلية ، ومدافع رشاشة ، وليس لهم سيارة واحدة يتنقلون بها ، ولكنهم فى كل مكان ، ويصنعون القنابل بأيديهم ، ويتخذون من أنابيب الماء فوهات مدافع ، ويتخذون خطة الهجوم فى كل حال ، ويتولون الحكم بين الناس ، ويقضون بالعدل ، ويفضون المنازعات ، ويطوون صفحات الخلافات والعداوات القديمة ، ويدخلون المحاكم ، وينحون قضاة الحكومة ويقضون هم فيها هناك ، فينفذ أمرهم ، ولا ينفذ أمر الحكومة ، ويشيرون باتخاذ « العقال » بدلا من الطربوش أو غيره من ألبسة الرأس ، فاذا هو على رأس كل عربى من أبناء البلاد ، ولو كان يصطاف فى مصر أو سورية . وقد زالت هيبة الحكومة ؛ وكفت « محاكم الصلح » عن العمل إلا فى مدن أربع ليس إلا ، وصارت الحكومة الحقيقية هى حكومة الثوار .

وقال أحد الذين كانوا فى المجلس: « إن هذا العجيب ! ولا شك أن بين الثوار كثيرين من المثقفين والمتعلمين ؛ ولكن السواد الأعظم أقرب إلى السذاجة والفطرة ، فكيف تيسر كل هذا لهم ؟ »

فلم يسعنى إلا أن أقول : « إنهم يعملون بوحى الفطرة المستقيمة . وليس عجيبا أن يحسنوا التدبير ، ويحكموا الخطط ، ويضبطوا الأمر ، ويظهروا ذكاء واقتدارا . وهل كان عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ومعاوية وأضرابهم من خريجى كمبردج ، وسان سير ، ومن حملة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ؟ أريد أن أقول إننا لا نتعجب لما ظهر من مواهب العرب بعد ظهور الاسلام ، وما كان من تغلبهم على دولتين كبريين فى ذلك العهد ، وفى آن معا ، فلا محل إذن للتعجب لما قدرت عليه ثورة العرب فى فلسطين حيال دولة كبرى شاكية مستمدة »

والواقع أن فلسطين لم يبق فى الإمكان قهرها وإرغامها على قبول مالا تقبل . ولقد استفزها إلى هذه الثورة المجيدة ظلم أريد بها ولا مثيل له فى التاريخ ، على الأقل فيما أعرف أنا . ويجب أن نذكر أن العرب كانوا حلفاء لبريطانيا وزميلاتها فى الحرب العظمى ، وقد خرجوا على دولة الخلافة يومئذ ، وهى دولتهم ، وأكثرهم مسلمون ، بل كان الثائرون على السلطة العثمانية ، الملتحقون بجيش الثورة العربية ، من المسلمين .

فعلوا ذلك لأنهم طلبوا الحرية ، ونزعوا إلى الاستقلال . وقد عرفت بريطانيا هذا ، ورضيت به ، وشجعتهم عليه ، ووعدتهم بتحقيقه ؛ ولو كانوا يعلمون أنهم سيصيبهم ما أصابهم لما ثاروا ، إذ لا خير ولا معنى لاستبدال نير بنير

وهذا الجيش العربى هو الذى أعان على فتح فلسطين وسورية ، وسلخ البلاد العربية كلها من السلطنة العثمانية . وكان جيش بريطانيا يدخل بلداً بعد بلد ، فيجد الأمور ممهدة ، ويقابل بالترحيب والحفاوة ، لأنه حليف العرب . فماذا كان جزاء العرب؟ مزقت بلادهم كل ممزق ، وأخلفت الوعود كلها ، فلم ينجز الحلفاء للعرب منها واحداً . وما استقلت العراق إلا بثورة ، ولا عقدت المحالفة السورية إلا بثورة بل ثورات ، ومع ذلك لاتزال معلقة لا يعرف مآلها أحد . أما فلسطين فكان خطبها أدهى ، فما اكتفت بريطانيا بالانتداب ، بل رمتها بشعب غريب فتحت له الثغور وقالت له ادخل ، واستول على البلاد ، وأقم لك فيها دولة ، واتخذ منها وطناً . وما كانت البلاد بغير أهل حتى تفعل بريطانيا ذلك، ولاهى بالأرض الواسعة الرقعة، العظيمة الخصب ، حتى تحتمل هذا السيل من المهاجرين إليها . وإن اليهود لمضطهدون

فى أنحاء شتى من الأرض ؛ ولكن ماذنب فلسطين ؟ ومن تهكم الحوادث وسخر الأقدار أن ترمى بالهجرة اليهودية والوطن القومى الصهيونى البلاد العربية التى نعم اليهود فى ظل دولتها بالعدل والعطف والحرية كما لم ينعموا فى ظل دولة أخرى ، فقد كانوا فى الأمم الأخرى مضطهدين محقرين ، وكان البريطانيون أنفسهم فى القرون الوسطى يعدونهم أنجاساً منبوذين. ونحسب أن اليهود يقرأون روايات وولتر سكوت ! .

فاذا كان الشعب الفلسطينى قد ثار، فله العذر ؛ وإذا كان على قلة عدده وانقطاع المدد عنه ، قد راع الدنيا بثورته الجليلة فلا عجب ، فانه يدافع عن حقله وبيته بأدق المعانى المرقبة للفظ الدفاع عن الحوزة ، فان بيته ينسف بالديناميت فيشرد هو وأبناؤه ونساؤه فى الجبال الجرداء ، والسهول الخصيبة التى يملكها تقتطع وتوهب للدولة الصهيونية ، فماذا يصنع هذا الشعب غير أن يثور ؟ وماذا يسعه ، وقد ثار ، إلا أن يستبسل ويستميت ؟ إنه موت بموت ، فالموت مع الشرف وبعد الدفاع الكريم إلى الرمق الأخير ، أولى من الموت جوعا فى جبال عارية لا ماء فيها ولا شجر ، هى التى يراد طرد العرب اليها لانشاء الدولة الصهيونية

يضاف إلى هذا أن الغدر الفظيع الذى تنطوى عليه هذه السياسة ، بشعب كان من أقوى الأعوان لبريطانيا فى الحرب العظمى، وأخلصهم لها ، يضاعف عزم الثوار، ويجعلهم أقوى وأجرأ

ومن الجلى أن سياسة الوطن القومى على حساب العرب قد أخفقت ، وأن إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين قد ارتد إلى عالم الخيال الذى لا محل له فى عالم الحقائق . ومن الواضح الآن أن على بريطانيا إذا أرادت إمضاء العزم على تقسيم البلاد وإقامة دولة للصهيونية فيها ، أن تجيش الجيوش وتسير الأساطيل لتفتح فلسطين عنوة ، فما يكفى كل مالها هنالك الآن من قوة وعتاد . وأوضح من ذلك كله وأجلى حقيقتان أخريان ، فأما الأولى فتلك أن ثورة فلسطين — وهى أعدل ثورة قامت فى الدنيا وأروع ما شهد العالم من مثيلاتها — قد جمعت قلوب العرب فى الأقطار جميعا وألفت بينها ، فهم الآن أمة واحدة وإن كانت دولهم كثرا ، وعلى بريطانيا أن تختار صداقة هذه الأمة أو عداوتها ، وعليها أن تقيس قدرة العرب جميعا إلى قدرة فلسطين وحدها ونعتقد أنها تؤثر صداقة العرب ولا تجازف بعداوتهم ولا سيما أنه ليس لها باعث من مصالحها الخاصة الحيوية على اختيار خطة العداء . والعرب يقولون الآن لبريطانيا كما قال ابن الرومى

أمامك فانظر ، أى نهجيك تنهج
طريقان شتى ، مستقيم ، وأعوج

والمستقيم أولى ، وهو الذى سيكون إذا كان علمنا بالانجليز ليس كله خطأ .

والحقيقة الأخرى أن بريطانيا لا تخدم اليهود بهذه السياسة ، وإنما تثير عليهم نقمة العالم العربى والعالم الاسلامى ، وهم أمة لا ينقصها أن يزيد كارهوها . ونحسب أن اليهود قد بدأوا يدركون هذا ، ويفطنون إلى أن السياسة الصهيونية تورثهم عداء هم فى أشد الغنى عنه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

أشرق الأمل يا فلسطين!

للأستاذ علي حيدر الركابي

لقد قضيت عمري تائهاً في صحراء الحياة، أرى العواصف الهوجاء تهب حولي حتى تكاد تطمرني فأسير وأنا واقف في أرضي، وأرنو إلى الأفق البعيد أنشد فيه خيال واحة أستظل بظلالها وأرتوي بمياهها، فإذا بالأمل قد خاب، وإذا بالسراب قد تلاشى وانكشف عن قفار تمتد إلى اللانهاية لا أدري إلى أين المصير

وقد قضيت عمري غريقاً في بحر الحياة اللجب، تتقاذفني أمواجه الملتجة حتى كادت، تغرقني فكنت لا أتقدم خطوة نحو شاطئ النجاة إلا أبعدتني عنه خطوات؛ وكانت الأمواج ترفعني تارة فيخيل إلى أني قد بلغت مثلي الأسمى؛ ثم تسخر بي وتضحك ملء شدقيها وتفتح فاها المخيف وتجذبني إلى أعماق جوفها وكأنها تريد ابتلاعي، فأشعر أن قد دنا أجلي وأصيح وأستغيث ولكن لا ملبي لندائي ولا مغيث

وقد قضيت عمري هائماً في ليل الحياة المظلم وقد خيم سواده على كل مخلوق فحجب عني الحقيقة، وضللت الطريق ورحت أخترق حجب الظلام ببصري عله يقع على قبس من نور ولو ضئيلا أهتدي به. ولكن الجهد كاد يفقد عيني بصرها فسرت وأنا كالأعمى أتخبط في دياجير الظلام بلا هدف ولا أمل

وقد صعدت قمة الهرم الكبير، وأجلت الطرف حولي، ثم انحدرت إلى الوادي السعيد فلم أعثر على منقذي، بل عثرت على نفوس فقيرة حقيرة قد أضعفتها الجيوب المنتفخة، وضربت حولها أسواراً من الذهب الوهاج، وأقامت لها داخل هذه الأسوار عروشاً من الماس فاستوت عليها قانعة شاكرة، وعثرت إلى جانب هذه النفوس الفقيرة الحقيرة على نفوس غنية كبيرة قد عمتها يد البؤس والشقاء وحصرتها في أسوار من الاملاق، فلما عجزت عن تحطيمها أو اجتيازها خضعت للأمر الواقع واستسلمت للأوهام تستمد منها حرية تستعيض بها عن حرية الحقيقة. فيئست من النفوس الفقيرة وبكيت على النفوس الغنية وغادرت الوادي السعيد وهرمه العظيم بقلب مفجوع وأمل خائب

وقد تبعت طريق بني اسرائيل لما خرجوا من مصر فقطعت صحراء التيه ثم وقفت على جبل الطور وتوجهت بناظري إلى الشرق فنفذ بي من أعماق النور الأعظم إلى أفق أسود قاتم تتدلى في سمائه الغيوم الباكية، ولاح لي شعاع من ذلك الأفق الممتد وراء الأردن فرقصت طرباً وخلت أنه النور الذي سيهديني، ولكني ما لبثت أن أدركت أنه برق بدا لحظة ثم اختفى وتلته رعود قاصفة تنذر بدنو العاصفة، فحولت بصري عن الشرق وأخذت أجيله في الجهات الأخرى عساي أحظى بضالتي المنشودة. إلا أني ما رأيت سوى القتلى في كل مكان قد صُرع كل واحد منهم بسهام ثلاثة خرجت من أقواس لثلاثة صيادين: أولهم صوبها بنفسه معتمداً على مهارته مغتراً بقوته والثاني ضعيف لم يقو على شد القوس فاستأجر بدراهمه الكثيرة من يقوم مقامه من الرماة الماهرين؛ أما الثالث فقد كان يسعى ويجد حتى لا يخطئ قلب أخيه المقصود، يفعل ذلك طمعاً في اكتساب رضاء الأول والحصول على دراهم الثاني؛ فعريت صدري للسهام المتناثرة كي يصيبني أحدها فيضع حداً لحياة قد فقدت معناها وضلت هدفها إلا أن السهام أخطأتني ولم تفرج كربتي فغادرت الطور شقياً هائماً على وجهي

وقد انتقلت إلى جنة الله على الأرض وأطلقت روحي في الهواء فصاحبت الطير وحلقت معه في الفضاء الواسع بين الجبل الأشم والسهل الخصيب، تغرد معه على الأغصان، وتصغي معه إلى قيثارة الغدير. ولما عادت هذه الروح إلى جسدي أنبأتني بما فهمته من الطير والغصن والغدير؛ فقالت: إن الطير تبكي ولا تغرد، وإن الغصن قد قوسته الأحزان، وأن الغدير يرسل زفرة الكليم، وذلك لأن هذه المخلوقات قد أرسلها خالقها هدية إلى قوم لم يقدروا قيمتها ولم يفهموا معناها، إذ أنهم استعاضوا عن الهدى وهديته بأصنام من صنعهم شيدوا لها الهياكل والمعابد وراحوا يحرقون أمامها البخور ويقدمون لها الضحايا؛ فلو عاد محمد صلى الله عليه وسلم نفسه لتحطيمها للاقي منهم ما لاقاه من قريش. فقلت: يالمصيبة، وغادرت الديار غير آسف وتوجهت نحو الصحراء الشرقية يدفعني الألم مما خلفت ورائي والأمل بما استقبلت أمامي.

وقد جلست في قارب صغير وهمست في أذن النهر العظيم

قائلا : « إنك تحمل فى طياتك تجارب آلاف السنين ، وأخبار مئات الأقوام، وقد مرّ فرعاك بأقصى البلاد وأدناها فبالله حدثنى » فلم أحظ منه بجواب لأنه كان نائماً فرفعت صوتى وكررت الطلب ففتح إحدى عينيه ثم الأخرى ثم تثاءب وأعقب ذلك ضحكة اهتز لها صدره حتى كاد قاربى ينقلب ثم قال « إنى لمرتاح ، وإنى لمسرور كما ترى . فقد مرت عشرات السنين وأنا أشق طريقى إلى البحر بكل حرية فلا يعترضنى أحد ولا ينتقص من مادتى شيئاً » فثرت على هذا الكسل وصحت: « ولكن هذه الحرية المزعومة إن أرضتك فقد أشقت التربة الصالحة وقلبتها صحراء قاحلة حتى مدّ الجوع يده إلى ألف ألف بيت » . فضحك مرة أخرى وقال : « رويدك يا صاح ! وما شأنى أنا؟ ولمَ تلومنى ؟ نعم أنا مرتاح إلى هذه النتيجة إلا أنى لم أكن سبباً فى وقوعها ... » ثم أغمض عينيه وعاد إلى سباته العميق وتركنى وحيداً وسط الخضم أنادى فلا أجد من يلبى وأصيح فلا أسمع سوى صدى صيحتى الضائعة .

ولما خاب كل أمل لى فى النجاة وأيقنت أنى سأبقى تائهاً فى الصحراء بلا دليل ، وغارقاً فى اللجة بلا منقذ ، وضالاً فى الظلام بلا نور هادى ، ولما تسرب اليأس إلى قلبى فاذا بى أرى العاصفة قد سكنت ، وإذا بيد بيضاء تمتد لانتشالى ، وإذا بالشمس الضاحكة تفىء ما حولى، وإذا بحياتى قد ملئ فراغها بالأمل لأن نفسى قد اهتدت أخيراً إلى الطريق الذى يوصلها إلى الغاية . فمن هو هذا المحسن العظيم الذى فعل ما عجز عنه غيره ؟ من هو هذا الانسان الذى استطاع أن ينفخ فى قلبى القانط روح الأمل يبنى الانسان ؟ وما الذى قام به هذا الشخص حتى أعاد لنفسى شيئاً من ثقتها بالبشر ؟

إنه طالب عراقى فقير أصغر منى سناً وأقل علماً، ولكنه مع ذلك قد لقننى — وهو التلميذ وأنا الأستاذ — درساً بليغاً فى الخلق السامى والتضحية النادرة .

تعاقب خطباء المدرسة على المنبر فهزوه هزاً وبحّت حناجرهم وكلهم ينادى « فلسطين ! فلسطين ! » واحمرت الأكف من التصفيق وهى تقول بلغتها العجيبة « لبيك ! لبيك ! » ثم انقضى دور الدعاية والكلام وحل محله دور العمل والاغاثة الفعالة فاشتد الحماس وجاء الطلاب الريفيون الفقراء بالمال إعانة لمنكوبى فلسطين وبذلوا بذلاً وقف دونه من هو أوفر منهم مالاً . وفى وسط هذا الحشد الثائر جلس الطالب حكمة عبد العزيز يفكر ؛ فان قلبه مملوء إيماناً بالله وبنبيه أولا ، ثم بلزوم إعانة فلسطين وهو لا يملك فلساً فما العمل ؟ ولكنه تردد لحظة لا أكثر اندفع على أثرها إلى المنبر وأخذ ينزع ملابسه حتى عرى جسده إلا مما يستر عورته وهو يعلن بصوت خرج من أعماق قلبه أنه لا يملك ما يتبرع به غير هذه الملابس (وأنا أعلم — والله يشهد — أنه معوز) فلتبع على قدمها وليخصص ثمنها لاغاثة سكان الأراضى المقدسة . وما كاد يتم كلامه حتى دوى المكان بالتصفيق واهتزت الجدران بالهتاف العالى المتواصل . وعرضت ملابسه للبيع فتنافس الجميع فى شرائها كل يريد أن ينفرد بشرف الحصول عليها حتى بلغت قيمتها حداً عظيما . وأراد الشارى أن يعيد الملابس إلى صاحبها بعد أن تم المقصد من تقديمها ولكن هذا أبى ذلك بشدة واعتبر هذا العمل إهانة له . وبعد ملابس حكمة أمطر الطلاب المنبر بوابل من أشيائهم الخاصة طالبين بيعها فهذا قدم قلمه السيال وذاك محفظته وثالث ساعته ورابع نظارته وهلم جرا .

هذا ما قام به طالب عراقى فقير من الأرياف ، وهو عمل قد يعتبره بعض الناس عادياً، ولكن المتعمق لا يسعه إلا أن يعجب به ويمجده ويبنى عليه الآمال العظام لأننا نعيش الآن فى عصر شمل فيه الانحلال كل شىء حتى بات العمل الصالح نادراً يجب التمسك به وإعلانه إلى الملأ عند العثور عليه .

فاهنأ بعيشك ياحكمة فان أمة فيها شاب مثلك لن يكتب لها أن تموت، وإن شعباً فيه روح مثل روحك هو شعب حى سيسود رغم كيد المدونين : الأجنبى المستعمر والوطنى الخائن . سر فى طريقك على بركات الله ولا تجزع، فان كنت قليل المال أو معدومه فانك غنى النفس ، وقد استطعت بهذا الغنى أن تقدم لفلسطين مساعدة مادية ، وأن تضرب للشباب مثلاً سامياً فى التضحية ؛ كما أعدت إلى اليائسين أمثالى ثقتهم بشباب هذا الجيل — وكل ذلك وقف دون تحقيقه من هم أغنى منك مالا لأنهم أصغر منك قلباً وأحقر نفساً . ثم مرتاح الفؤاد ياحكمة فان قصتك ستبقى خالدة على الدهر يستنير بها الشباب ويتخذونها شعاراً حياً يرمز إلى كل ما فى كلمة (جهاد) من معنى .

وأنت يافلسطين ، ماذا أقول وكل حرف من اسمك المطهر يفجر فى قلبى نبعاً جديداً من الأسى ؟ أأرثى لحظك المنكود أم أرثى أرضك التى لم تراعَ حرمة لقدسيتهـا ؟ أم أنوح على مئات الضحايا تقدميتها كل فجر على مذبح الشرف والحرية ؟ أم هل أشق الفضاء بصيحات أندب فيها قراك الخربة ومنازلك المتهدمة وحقك المسلوب ؟ كلا والله ليس البكاء والعويل بمنقذك .

أي أندلسنا الجديدة: إن أبناء الأندلس القديمة لم يبخلوا بالندب والنواح والاستنجاد والصياح ، ولـكنهم مع ذلك خسروا بلادهم وأخرجوا عن دينهم لأنهم اكتفوا بأنات الألم واستسلموا لليأس وسلموا قيادهم من يجهل معنى الاخلاص . أما أنت فقد خرجت الآن من دور البكاء والاستسلام والتسليم ، وما عادت تجوز عليك خدع المتزعمين من أبنائك طلاب السلطة والمـال ، وقد دخلت أخيراً فى دور الجهاد المبارك الذى أعلنه المخلصون من أبنائك البررة — أبناء الشعب الساذج ذوى الايمان القوى والعقيدة الراسخة والأرض المسلوبة .

فجاهدى وناضلى يافلسطين واعلمى أنك قطعة ثمينة من الوطن الأكبر الذى لا يزال فيه بقية من الخلق الذى كان يتحلى به فتيان محمد (ص) الأولين . وهذه البقية الباقية إن كانت ضئيلة اليوم فلن تبقى ضئيلة إلى الأبد فانها والله لكالجمرة التى خلفتها النيران فى الرماد وظن الناس أنها منطفئة، حتى إذا ماهبت العاصفة أطارت الرماد وعرّت الجمرة ونفخت فيها الحياة فاحمرت ثم اندلعت منها ألسنة اللهيب واتصلت بما حولها وتوسعت دائرة الاشتعال حتى أصبح إخمادها فى حكم المستحيل . وها هى ذى عواصف الاضطهاد والارهاق تكتنفنا من كل جانب وهى كفيلة باذكاء نار الحمية فينا وإعادة ذلك العهد الذى دُكت فيـه عروش الأكاسرة والقياصرة على يد فئة قليلة يقودها بدوى أمى خرج من قلب الصحراء المقفرة .

وهذا الأمل الجديد الذى أبشرك به يافلسطين لقد ولده فى قلبى عمل حكمة أحد فتيان محمد (ص) . فأرسلى ناظريك إلى ما وراء الصحراء وترقبى — مثلى — خروج القائد المنتظر فى بلاد (حكمة) ومن جيل حكمة .

« بغداد — دار المعلمين الريفية » علي حيدر الركابي

فى مصر الاسلامية

تنازع البقاء بين العلوية والعثمانية

للدكتور حسن إبراهيم حسن

الأستاذ بكلية الآداب

كان من العوامل الخارجية التى نازعت سلطان العلويين فى مصر وجود حزب الأمويين فى الشام ، وعلى رأسه معاوية ابن أبي سفيان الذى أخذ يعمل على سلخ مصر من على بن أبي طالب . وسار معاوية إلى هذه البلاد ونزل بسلمنت من كورة عين شمس (فى شوال ٣٦ هـ) ، فخرج إليه ابن أبي حذيفة وأنصاره ليمنعوه ، فبعث إليه معاوية يخبره أنه لا يريد قتالاً وإنما يريد أن يدفع إليه رءوس قتلة عثمان ، فأبى ذلك عليه ، فبعث معاوية يطلب إليه تبادل الرهائن والودائع ، كى يضمنوا جميعاً أن يكفّ الفريقان عن الحرب ، فقبل ذلك ابن أبي حذيفة .

ولعل ابن أبي حذيفة لم يفطن إلى ما كان يرمى إليه معاوية ، وأن هذا الطلب لم يكن فى حقيقة الأمر إلا مكيدة حاك شراكها دهاؤه ، فاستخلف على مصر رجلا من أنصاره ، هو الحكم بن الصلت ، وخرج فى الرهن هو وغيره من قتلة عثمان ، ثم سجنهم معاوية في « لدّ » من أرض فلسطين ، وسار إلى دمشق ، فهربوا من سجنهم ، إلاّ واحداً أبى الفرار ، فتعقبهم عامل معاوية وقتلهم ، وكان من بين القتلى محمد بن أبي حذيفة . (ذو الحجة ٣٦ هـ) وذلك بعد قتل عثمان بسنة كاملة [1]

ولسنا ندرى كيف يعلل خروج ابن أبي حذيفة ، وهو رأس شيعة علىّ فى مصر وغيره من أنصار العلويين وزجه بنفسه فى مخاطر هذا الرهن . بيد أن المصدر التاريخى الذى نعوّل عليه فى هذه الفترة وهو كتاب « الولاة » للكندى (٣٥٠ هـ) أقدم مؤرخى مصر بعد ابن عبد الحكم (وعنه أخذ غيره من المؤرخين المتأخرين ، وأهمهم ابن دقماق والمقريزى وأبو المحاسن والسيوطى) لم يذكر لنا السبب الذى حدا بابن أبي حذيفة وأنصاره إلى الذهاب فى الرهن ، بل ولم تذكر المراجع كلمة واحدة عن رجال معاوية الذين دخلوا فى هذا الرهن ، الذى لم

(١) الولاة للكندى ص ١٩ — ٢٠ والخطط للمقريزى ج ٢ ص ٣٣٦

يكن فى حقيقة الأمر — إن كان قد وجد فعلا — على قدم المساواة بين الفريقين المتخاصمين .

وقد يكون معاوية رأى أنه مع استطاعته فتح مصر أن الوقت لم يحن بعد لهذا الأمر ، إذ لابد له من الاحتفاظ بقوة كبيرة لمنع مناوأة العلويين ، لأن جميع أهل مصر بايعوا ابن أبى حذيفة إلا نفراً يسيراً انتصروا لعثمان [(١)] ؛ فعول معاوية على استئصال شأفة رءوس قتلة عثمان ليتمكن من حرب على ثم يستولى على مصر متى تهيأت له الفرصة بعد أن يوقع بجيش على.

وبعيد جداً أن يكون ابن أبى حذيفة قد اضطر إلى قبول طلب معاوية ، لأن الرجل لم يبال بخصمه . يدلك على ذلك أن معاوية لما بعث إلى ابن أبى حذيفة يطلب منه أن يدفع إليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس قتلة عثمان امتنع ابن أبى حذيفة وقال : لو طلبت منا جدياً رطب السرة بعثمان مادفعناه إليك [(٢)] » وهذا يحملنا على الظن بأن معاوية لجأ إلى هذه الحيلة حين لم تجد جهوده الحربية مع ابن أبى حذيفة نفعاً .

ولما بلغ علياً قتلُ ابن أبى حذيفة ولى مصر قيس ابن عبادة الأنصارى ، فدخلها فى ربيع الأول ٣٧ هـ ، وكان من أهل الرأى والبأس ، واستمال إليه العثمانية المقيمين بخُرْبتا (شرق الدلتا) وأحسن إليهم ، وكان أهل مصر إلا هؤلاء (وعددهم زهاء عشرة آلاف) مع علىّ بن أبى طالب .

وقد حاول معاوية وعمرو بن العاص التغلب على مصر ، فامتنع قيس هذا على معاوية ، فلم يكن بدّ إذاً من إعمال الحيلة لإخراجه ، فأذاع معاوية أن قيساً من شيعة عثمان وأنّ كتبه تأتيه . فلما سمع علىّ بذلك ، أمَرَ قيساً بمحاربة العثمانيين بخربتا ، فأجابه بأنه أمّنهم على أنفسهم ليأمن جانبهم ، لأن فيهم كثيرين من وجوه أهل مصر وأشرافهم ، فعزله علىّ وولىّ مكانه الأشتر بن مالك لأنه ثقل عليه ، فأبعده عنه [(٣)] .

على أن والى مصر الجديد لم يكد يصل القلزم (وهى السويس الحالية) حتى شرب شربة من العسل لا يبعد أن يكون قد دُس له فيها السمّ فمات ، فولى مصر بعده محمد بن أبى بكر [(٤)] ، فأظهر الخيلاء ، وأساء إلى العثمانية ، وبعث إلى رأسهم معاوية بن حُديج يدعوه إلى بيعة على ، فلم يجبه إلى طلبه ، فهدم دورهم ، ونهب أموالهم ، وآذى أولادهم ، وحبسهم ؛ فعوّلوا على حربه ، ولكن ابن أبى بكر رأى أن يتلافى ماقد يجرّه الاشتباك فى حرب معهم فصالحهم ، ثم سيرهم إلى معاوية فبقوا هناك إلى أن انتهت موقعة صفين وعقد التحكيم .

ولم يكن معاوية بالذى يَفْتُر عن استخلاص مصر وانتزاعها من على . وزحف عمرو بن العاص على رأس جيش من أهل الشام ، وحَمِىَ القتال بين الفريقين ، فوقعت الهزيمة على أهل مصر ، ودخل عمرو الفسطاط واختفى محمد بن أبى بكر ، فبعث معاويةُ بنُ حديج عدوُّه القديم العيون والأرصاد ، حتى اهتدوا إلى مكانه ، فقتله ابن حُديج ثم جعله فى جيفة حمار ، وأحرقه بالنار وكان ذلك فى صفر سنة ٣٨ هـ .

وبذلك خلصت مصر لمعاوية ، فولاها عمرو بن العاص ولاية مطلقة ، وجعلها له طعمة بعد النفقة على جندها ، وما تحتاج إليه من ضروب الاصلاح . ولما قتل علىّ بن أبى طالب سنة ٤٠ هـ ، وتحولت الخلافة إلى بني أمية ، أصبحت الأجناد وأهل الشوكة فى مصر شيعة عثمان ، بيد أن بقية المصريين ظلّوا يشايعون على بن أبى طالب وأهل بيته ، فظل العداء قائماً بين الحزبين في هذه البلاد (وفى غيرها) طوال عهد الأمويين ، وفى الصدر الأول من أيام العباسيين .

حسن إبراهيم حسن

(١) الكندى : شرحه ص ١٧
(٢) شرحه ص ١٩
(٣) الولاة والقضاة للكندى ص ٢٠ — ٢٢
(٤) كان دخوله مصر في منتصف رمضان سنة ٣٧ هـ .

من مشاكل التاريخ

مكتبة الأسكندرية

تأسيسها ورواية احراقها

للأستاذ خليل جمعة الطوال

تنزع بعض الأقلام عن جادة الصواب إلى هوة التفرض والتشيع ، وتساق إليها بتهور عاطفة أصحابها ، وانحيازهم معها إذ يكتبون مائلين إلى الناحية التى تكمن فيها أغراضهم الذاتية ، وأهواؤهم القومية والعنصرية . والعلم متى اصطبغ بالتشيع ، وتلون بالتفرض ، ومال حيث تميل العاطفة ، فسد وصار باطلا منتحلا، وهراء مبتذلا . ومن نكبة العلم أن تقوم فئة من المؤرخين المتشيعين ، تعلن عداءها للعرب ، وتروح بدافع هذه العداوة تشوه وجه تاريخهم المشرق بشتى الوسائل والسبل ؛ آناً بالوضع والاختلاق ، وحيناً بسوء التفسير والتأويل ، حتى نفثت فيه من سمومها كل ما ينتقص جليل قدرهم ، وينال جميل سمعتهم ، ويضع من عالى مكانتهم ، وذلك شفاء لغيظ نفوسها ، وإطفاء لحزازات صدورها . ومن هذه السموم والأباطيل ما يروج له بعضهم من أن الفاروق هو الذى أمر باحراق خزانة الاسكندرية على حين قد أثبت المنصفون أنها قد أحرقت قبل الفتح الاسلامى

تأسيس هذه المكتبة

لم يكد الاسكندر المقدونى يعبر البحر إلى آسيا ، ويمعن فى أقطارها فتحاً واستعماراً ، ويستولى فيها على إرث ملوك الفراعنة والبابليين والآشوريين والفرس ، حتى أخذ يستفيد من حضارات ومدنيات وعلوم وآداب هذه الأمم المغلوبة على أمرها ، فسعى فى نقل ما فى خزائنها إلى اللسان اليونانى والقبطى وأرسله إلى مصر . فقد ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست ص ٣٢٩ ما نصه : « إن الأسكندر لما فتح عاصمة الفرس « اصطخر » نسخ جميع ما فى خزائنها من الكتب إلى اللسان اليونانى والقبطى ، وبعث بها وبسائر ما أصاب من العلوم والأموال والخزائن والعلماء إلى مصر »

وفى عام ٣٢٣ ق . م . توفى الاسكندر فكأنما كان موته ريحاً زعزعاً ، بدد شمل تلك الأمبراطورية التى أقام بنيانها ، وأسس دعائمها ، إذ اقتسمها قواده من بعده ، فاختل النظام ، واضطرب حبل الأمور ، وعمت الفوضى وكثرت المظالم ، فرحل معظم علماء اليونان عن بلادهم إلى مصر والشام والعراق ، حاملين معهم نتاج قرائحهم ، وخصب عقولهم ، فأنشأوا المدارس فى الاسكندرية[1] وانطاكية وبيروت ، وكانت الاسكندرية إذ ذاك تحت حكم البطالسة ، وكان سوتر أول ملوكهم عادلا محباً للعلم والعلماء ، فتوجهت إليها الأنظار ، وتوافدت عليها العلماء والأدباء والفلاسفة ، أفواجاً أفواجاً ، حتى غصت بهم مدارسها ودورها وأنديتها . فتقرب إليهم سوتر ، وأدناهم من بلاطه ، وأغدق عليهم منحه وعطاياه ، فكان ذلك مشجعاً لهم على مواصلة البحث والدرس والتأليف ، فأصبحت الاسكندرية بفضل سياسته قبلة التأدبين ، ومثابة العلماء يحجون إليها من مختلف الأقطار ، ويجدون فيها من أسباب اليسر والرخاء ما ينصرفون معه إلى مواصلة دروسهم والانقطاع إليها

ويروى لنا التاريخ أنّ خطيباً أثينياً اسمه ديمتريوس فاليروس كان قد أشار على سوتر بانشاء مكتبة يجمع إليها الكتب من مختلف أنحاء الدنيا ، فقبل مشورته ، وعهد إليه بذلك ، فأخذ فاليروس يجمع الكتب ويبتاعها من تجارها بغالى الأثمان ، فجمع منها فى مدة وجيزة (٥٤ ألف كتاب) ، فتكون منها مكتبة الاسكندرية الشهيرة التى عبثت بها الأيام فيما عبثت ، وقد كانت تحتوى على الكتب التى بعث بها الاسكندر من اصطخر وغيرها إلى مصر ، ثم أنشأ سوتر المتحف أو النادى على شكل مدارس أوربا ، ويعرف فى التاريخ باسم مدرسة الاسكندرية الشهيرة[2]

وفى عام ٢٨٥ ق . م . تولى عرش البطالسة بطليموس فيلادلفوس ، وكان كسلفه محباً للعلم مشجعاً له ، فعمل على توسيع هذه المكتبة ، وأضاف إليها من كتب علوم اليونان وغيرهم ما لم يكن موجوداً فيها ، وابتاع لها الكتب التى كانت موجودة عند أرسطو ، وكثيراً من مؤلفات اليهود والمصريين القدماء[3]

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٢٥
(٢) راجع : التمدن الاسلامى لزيدان ج ٣
(٣) راجع : المصدر نفسه وتاريخ مصر الحديث

ومن المؤرخين من ينسب فكرة تأسيس هذه المكتبة إلى بطلوماوس لا إلى سوتر ، فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ص ٢٣٩ رواية عن إنشاء هذه المكتبة لرجل يدعى إسحق الراهب وإليك نصها : « إن بطلوماوس نيلاذلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى أمرها رجلا يدعى بذميرة فجمع من ذلك على ما حكي أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً ، وقال له : أيها الملك قد بقى في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم »

وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية من كتاب تراجم الحكماء لوزير حلب المعروف بالقفطي ، تحتوى على نص عبارة الفهرست عن تاريخ هذه المكتبة ومؤسسها . على أن الثابت من إجماع آراء المؤرخين والمستشرقين هو أن المؤسس لهذه المكتبة هو سوتر لا بطلوماوس ، ثم جاء هذا فعمل على توسيعها ، ثم خلفه بطليموس أورجيتوس عام ٢٤٧ق . م . فأضاف إليها كثيراً من كتب الأدب والشعر والتمثيل مما وجده في خزائن أثينا . ويروى أنه فرض على كل من يقيم في الاسكندرية أو يمر بها من رجال العلم أن يقدم للمكتبة نسخة من كل كتاب يملكه ، فزهت الاسكندرية بذلك ونبغ فيها من العلماء عدد كبير[١]

وما زال أمر هذه المكتبة في تقدم مطرد وازدياد عظيم ، فقد ذكر بطلر نقلا عن أميانوس مارسلينوس أنها بلغت سبعمائة ألف مجلد[٢] . وذكر العالم أكبرسيم أنها قد قسمت إلى شطرين ووضع الشطر الثاني منها في معبد سيرابيس[٣]

وفى عام ٤٧ ق . م . حوصر « يوليوس » قيصر الروم بالاسكندرية فأحرقت جنوده قسما من هذه المكتبة عن غير قصد

ولما تولى الامبراطور تودوسيوس أصدر أمراً بتحريض جماعة من المتعصبين للمسيحية بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها[٤] فنال هذه المكتبة العظيمة من جراء ذلك ضرر جسيم

(١) راجع : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

(٢) راجع : Butler, Alfred. J : The Arab Conquest of Eygpt. Oxford. 1902

(٣) راجع : Le Livre لأكبرسيم

(٤) راجع : الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي

وفى عهد الامبراطور طيودوس منعت الآداب والفلسفة اليونانية منعاً تاماً بأمر الأسقف تيوفيل ، وبأمره أيضاً دمرت السيرابيوم عام ٣٩١م . وبنى على أنقاضها كنيسة أو جملة كنائس ولم يبق من هذه الدار إلا بعض الجدران ، كما ذكر سيديو (ج١ ص١٥٥) ؛ وذكر أيضاً أن الكتب الوثنية التي كانت بالسيرابيوم قد أحرقت كلها ، وأما الكتب العلمية فانها حملت إلى القسطنطينية ثم تطاولت الأيدي إلى هيكل « سرابيس » فدمرته وأحرقته في الحال هو وجميع محتوياته والكتب التي كانت فيه .[١]

وهكذا تكون هذه المكتبة قد دمرت وأحرقت غير مرة بأمر قياصرة وبطارقة الروم . وقد تلاشت قبل الفتح الاسلامى بمدة طويلة . ومن المؤرخين من يزعم أنها أحرقت دفعة واحدة ، فقد ذكر بطلر نقلاً عن « ميانوس مارسلينوس » أن السبعمائة ألف مجلد التي كانت تحتوى عليها مكتبة الأسكندرية قد أتلفت إتلافاً تاماً حين حوصر يوليوس بالأسكندرية .[٢]

ومهما يكن من أمر الخلاف حول عدد مرات حريق هذه المكتبة العظيمة فان الآراء جميعها متفقة على أنها قد تلاشت قبل الفتح الاسلامى بقرنين ، وأنه لم يكن في الأسكندرية حين الفتح العربي ما يحرق من الكتب .

وحوالى عام ٤١٤م . زار أورازيوس الأسكندرية وذكر أنه وجد رفوف هذه المكتبة خالية من الكتب ، وفى ذلك أكبر دليل على تبرئة العرب من هذه التهمة الشنيعة التي حملت عليهم زوراً .

شهادات المستشرقين

ونود بعد الذى فصلناه في هذه الكلمة المجملة أن ندلى بشهادات بعض المحققين المستشرقين في الموضوع :

قال مسبرك في كتابه « الادعاءات الكاذبة » : « إن الافرنج هم الذين أحرقوا خزانة الأسكندرية[٣] » . وقال بونه موري في كتابه الاسلام والنصرانية نقلاً عن فوت واهلوبلر في كتابهما « جنايات الأوربيين » إن تيوفيل هو الذى أحرق خزانة الأسكندرية لا المسلمين ، لأن الدين الاسلامى لا يبيح إحراق الكتب .

(١) تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن .

(٢) تاريخ بطلر السابق وكتاب Babylon of Egypt

(٣) مبحث لسليم المغير في النبراس ، والاسلام والحضارة العربية جزء ١ لمحمد كرد علي .

وقال غريفيني من علماء المشرقيات في إيطاليا : بعد أن فتح عمرو بن العاص الأسكندرية مرت ستة قرون كاملة لم يسمع خلالها قول لمؤرخ مسلم أو غير مسلم يتعرض لاتهام عمرو بن العاص باحراق خزانة الأسكندرية . وينقض هـذه التهمة ما اشتهر به عمرو من سياسة اللين والتساهل التي جرى عليها وشهد له بها أشهر المؤرخين النصارى الذين كانوا في عهده ، كيوحنا النيقيوسي في كتابه تاريخ مصر الذي وضعه باللغة الحبشية القديمة .

وقال بونه موري أيضاً : يجب[1] أن نصحح خطأ شاع طول القرون الوسطى ، وهو أن العرب أحرقوا خزانة الأسكندرية بأمر الخليفة عمر ، والحال أن العرب في ذلك العصر كانوا أشد إعجاباً بعلوم اليونان وفنونهم من أن يقدموا على عمل كهذا ، كما أنه معلوم أن قسما من تلك الخزانة كان قد احترق في أثناء ثورة الأسكندريين التي باد فيها أسطول قيصر ، وأن قسما آخر أحرقه النصارى في القرن السادس ، واختط العرب الفسطاط وتركوا للقبط ممفيس ولم يتعرضوا لهم في دينهم وعاداتهم ، وأطلقوا لهم الحرية في انتخاب البطريرك وبناء الكنائس . وغاية ما أبطل عمرو من العادات القديمة ، هو ما كانوا جارين عليه من زمان الوثنيين من رمي فتاة في النيل كل سنة التماساً لفيضانه

وقال أرنست رينان في خطاب له في المجمع العلمي الفرنسي :

... لست أعتقد أن عمرا هو الذي أحرق خزانة الاسكندرية لأنها أحرقت قبله بزمن طويل[2]

وذكر أكبرسيم في كتابه (Le livre) : لم تحرق مكتبة الاسكندرية التي قال بعضهم إنه كان فيها نحو سبعمائة ألف مجلد على يد الامام عمر ولا بأمره كما جاء في بعض المصادر . فان هذه الدعوى من الأغلاط التاريخية العظيمة ، إذ لم يكن أثر لهذه الخزانة عند ما فتح العرب مدينة الاسكندرية

ومع كل هذه الشهادات ، وظهور الحق الجلي في هذه الناحلة التاريخية الكبرى ، فهناك من لا يزالون متمسكين بهذه الأكذوبة المختلقة على العرب ، ويستندون في تأييدها إلى أقوال هي في قوتها أوهى من خيوط العنكبوت ، وسنورد فيما يلي بعض هذه الأقوال والروايات وندلل على فسادها

يزعم بعض المؤرخين أن أول من لفق هذه الرواية على العرب هو أبو الفرج بن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » وروى ذلك العالم الأنجليزي جيبون[1] في تاريخ سقوط دولة الرومان قال : إن هذه الفرية على المسلمين قد لفقها أبو الفرج العبري في تاريخه مختصر الدول ، وذلك بعد الأسلام بنحو ستة قرون ، ولم يتعرض قبله أحد لذكرها من المؤرخين » وذكر أرفنج أن هذه الفرية لم يكن لها ذكر قبل ترجمة مختصر الدول إلى اللاتينية . على أننا لسنا نعتقد بصحة هذا الزعم ، إذ تبين لنا أن أول من نسب هـذه التهمة إلى عمرو بن العاص والفاروق هو عبد اللطيف البغدادي إذ ذكرها في كتابه « الأفادة والأعتبار ص ٢٨ » وكان قد ألفه قبل ولادة أبي فرج عام ١٢٢٦ م .

رواية عبد اللطيف :

ففي أواخر القرن السادس للهجرة زار عبد اللطيف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها وذكر إحراق العرب لهذه المكتبة قبل أن يولد أبو الفرج ببضع وعشرين سنة وإليك[2] نص عبارته : « ورأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة ، والأعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها . وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعـده وأنه دار العـلم التي بناها الأسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنه »

والظاهر أن هذه العبارة قد جاءت في كلام البغدادي عرضاً عن غير قصد ، ومما يطعن فيها أن يذكرها بعد ستة قرون ولا يدل على المصدر الذي نقلها عنه ، والأغرب ألا يذكرها مؤرخان مسيحيان معاصران من مصر ، فقد كتب أفتيكيوس بطريرك الأسكندرية كلاماً مستفيضاً عن استيلاء المسلمين على مصر ولم يشر إلى هذه الحادثة قط ، وكذلك أوتيثموس ، فانه لم يشر إليها أيضاً ، ومثله المؤرخ « يوحنا أسقف نيقوس » وتاريخه مصدر يركن إليه .

(البقية في العدد القادم) خليل جمعه الطوال

(١) G. Bonet Maury : L'Islamisme et le Christianisme en Afrique

وكتاب حاضر العالم الاسلامي تعريب شكيب أرسلان

(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي

(١) Gibbon, Edward : The History of the decline and Fall of the Roman Empire.

(٢) الأفادة والاعتبار ص٢٨

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٠ —

« طال بي الحديث إلى قراء الرسالة عن الأسباب التي كانت تملي على الرافعي موضوعاته التي كتبها لقراء الرسالة ، فسأرجئ ما بقي من هذا الباب إلى موضعه من كتاب « حياة الرافعي » الذي يصدر قريبا ؛ ليتسنى لي أن أنشر على القراء ما يتيسر نشره من فصول هذا التاريخ قبل الفراغ من طبع الكتاب »

سعيد العريان

رسائل القراء اليه :

لم يكن بين الرافعي وقرائه صلةٌ ما قبل أن يبدأ عمله في الرسالة، ولم تكن أصوات القراء تصل إليه من قريب أو من بعيد ، إلا طائفة تربطه بهم صلات خاصة كان يكتب إليهم ويكتبون إليه ؛ فلما اتصلت أسبابه بالرسالة ، أخذت رسائل القراء ترد إليه كثيرة متتابعة ، حتى بلغ ما يصل إليه منها في اليوم ثلاثين رسالة أو تزيد . وأستطيع أن أقول غير مبالغ : إن الرافعي قد عرف من هذه الرسائل عالماً لم يكن له به عهد ، وانتقل بها نقلة اجتماعية كان لها أثر بليغ في حياته وتفكيره وأدبه . وإذا كان مؤرخو الأدب قد اصطلحوا على وجوب دراسة البيئة التي يعيش فيها الأديب والتطورات الاجتماعية التي أثرت فيه ، فان مما لا شك فيه أن الحقبة التي كان الرافعي يكتب فيها للرسالة — كانت تطوُّراً جديداً في حياته الاجتماعية نقله إلى عالَم فيه جديد من الصور وألوان من الفن يبعث على التأمل وتوقظ الفكر وتجدِّد الحياة . وقد عاش الرافعي حياته بعيداً عن النـاس لا يعرف عنهم ولا يعرفون عنه إلا ما ينشر عليهم من رسائله ومؤلفاته ، فكان منهم كالذي يتكلم في (الراديو) يسمعون عنه ولا يسمع منهم ، وليس له مما يستمد منه الوحي والالهام إلا ما تجيش به نفسه ، ويختلج في وجدانه ، غير متأثر في عواطفه الانسانية بمؤثر خارج عن هذه الدائرة المغلقة عليه

وكان هو نفسه يشعر بهذه القطيعة بينه وبين الناس ، وكان له من علّته سبب يباعد بينه وبينهم ؛ فمن ذلك كان يسره ويرضيه أن يجلس إلى أصحابه القليلين ليستمع إليهم ويفيد من تجاربهم ، ويُحصِّل من علم الحياة وشئون الناس ما لم يكن يعلم ..

ثم بدأ يكتب للرسالة فعرفتْه طائفة لم تكن تعرفه ، وتذوّق أدبه من لم يكن يسيغه ؛ وكانت الموضوعات التي يتناولها جديدة على قرائها ، وجدوا فيها شيئاً يعبر عن شيء في نفوسهم ؛ فأخذت رسائل القراء تنثال عليه ، فانفتح له الباب إلى دنيا واسعة ، عرف فيها ما لم يكن يعرف ، ورأى ما لم يكن يرى ، واطلع على خفيات من شئون الناس كان له منها علم جديد ... فكان من ذلك كمن عاش حياته بين أربعة جدران لا يسمع إلا صوته ، ولا يرى إلا نفسه ، ثم انفتح له الباب فخرج إلى زحمة الناس ، فانتقل من جو إلى جو ، ومن حياة إلى حياة ...

هي نقلة اجتماعية لا سبيل إلى إنكار أثرها في الرافعي وأدبه ، وإن لم يفارق بيته ومنزله وأهله

والآن وقد وصلت إلى جِلاء هذا المعنى كما شاهدته وعاينت أثره ، فاني أتحدث عن ضرب من هـذه الرسائل التي كانت ترد إلى الرافعي من قرائه ، ليعرف الباحث إلى أي حد تأثر الرافعي بها ، وأيَّ المعاني ألهمته وقدحت زناد فكره ؛ وإذا كانت بعض (الظروف الخاصة) قد حالت بيني وبين الاطـلاع على كل هذه الرسائل التي خلَّفها لتتم لي بها دراسة التاريخ ، فحسبي ما أقرأني الرافعي منها في أيام صحبته ، وما اطلعت عليه بنفسي من بعد ...

* * *

نستطيع أن نردّ الرسائل التي كانت ترد على الرافعي إلى أنواع ثلاثة :

١ — رسائل الاعجاب والثناء

٢ — رسائل النقد والملاحظة

٣ — رسائل الاقتراح والاستفتاء والشكوى

أما النوعان الأولان فليس يعنينا منهما شيء كثير ، وحسبي الاشارة إليهما ؛ على أنه ليس يفوتني هنا أن أشير إلى أن أكثر

ما ورد إلى الرافعي من رسائل الاعجاب ، كان عن مقالاته في الزواج وكان أكثر هذه الرسائل من الشبان والفتيات ، وقلما كانت تخلو رسالة من هؤلاء أو هؤلاء ، من شكوى صاحبها أو صاحبتها وتفصيل حاله . وأطرف هذه الرسائل من رسالة من آنسة أديبة في أسيوط كتبت إلى الرافعي تسأله أن يكتب رسالة خاصة إلى أبيها — وقد سمّته في رسالتها — يعيب عليه أن يعضل ابنته ويردّ الخطّاب عن بابه حرصاً على التقاليد ...

... ثم رسالة من (مأذون شرعي) يحصي فيها للرافعي بعض ما مر عليه من أسباب الطلاق في الأسر المصرية ، ويردها كلها إلى سوء فهم الناس لمعنى الزواج وحرصهم على تقاليد بالية ليست من الدين ولا من المدنية ، وفي هذه (الاحصائية) الطريفة قصص خليقة بأن تنشر لو وجدت من يحكيها على أسلوب فني يكسبها معنى القصة

وأعجب ما قرأت من رسائل النوع الثاني ، رسالة جاءته بعقب نشره مقالة «الأجنبية» عليها خاتم بريد (شطانوف) فلما فض غلافها لم يجد فيها إلا صفحات ممزقة من الرسالة التي نشرت فيها القصة ومعها ورقة فيها هذه الأسطر :

سيدي الأستاذ

إن كان لا بد من رد فهذا هو خير رد ، وإن كان لا بد من كلمة فكلمتنا إليك هي تلك الكلمة التي ختمت بها هذا الكلام المردود إليك «مصرى»

* * *

ومن النوع الثالث من هذه الرسائل ، كان استمداد الرافعي ووحيه ودنياه الجديدة ، وإلى القراء نماذج مختلفة من هذه الرسائل

١ — هذه رسالة فتى في العشرين ، يكتب إلى الرافعي من الاسكندرية يقول :

« أستاذي الكبير

« ليس لي الآن إلا ربي وأنت يا أستاذي ، وإن من حقك عليّ أن أسألك حتى عليك وقد هداني الله إليك

« ... قرأت وتدارست ما كتبته في الانتحار ، فماذا تقول في امرىء علم عمن الجنة تحت أقدامها أنها فسقت وزلّت .. فهو يتحين الفرصة ليقتلها . إني أبكي يا أستاذي إذ أعيد هذا القول . أبكي دما . لي إخوة وأنا أكبرهم ، ولا أخاف إلا أن لي أختا . وأبي — غفر الله له — ليس له ما يكون للرجل من معاني الرجولة ليضمن ألا يكون في بيته شيء مما قد كان ...

« الشك يساورني منذ أكثر من عامين . واليوم فار التنور ، إذ سمعت أنها حبلى . ووقع في يدي ما ملأني يقينا بتصديق إثمها ؛ ولقد هممت أن أفعل مالا يُفعل ، وأنا أخشى ألا يتداركني حكمك .

« ... ماذا تقول يأستاذي ؟ أنا الصابر أبدا كاد الصبر يتلاشى من نفسي ، أنا المطمئن أبدا كاد أمري يضيع من يدي . أنا كالحزن لا يعزيني شبه عاقل إلا أنت ، فماذا تقول يأستاذي وبماذا تحكم ؟ يكتبها الله لك فتداركني برأيك ...

« ولك مني شكر من يسأل الله ويسعى إلى أن يكون بنفسه وحياته من حسنات تربيتك ، وأن يكون في اليوم الآخر كلمة من سطر من كتابك القيم . . .

« ومعذرة لي من لدنك إن أغفلت الآن اسمي »

في ١٤/٥/١٩٣٥

٢ — وهذه معلمة في إحدى مدارس الحكومة ، حامت حولها ريبة فوقفتها وزارة المعارف حتى تحقق أمرها ، فكتبت إلى الرافعي تسأله أن يعينها بجاهه حتى تعود إلى عملها الذي تعول منه أبويها ؛ فيشفق عليها الرافعي ويسعى سعيه لبراءتها ... وعادت إلى عملها ؛ وحفظت الجميل للرافعي ، فكانت تكتب إليه كل أسبوع رسالة تبثه خواطرها ، وتصف له من أحوالها وما تعمل ؛ وتكثر رسائلها إلى الرافعي حتى يزول الحجاب بينهما ، فتصرح له بما لا تصرح فتاة ، ويؤول أمرها في النهاية أن تكتب إلى الرافعي بأنها عاشقة ... وأن معشوقها الصغير — التلميذ في إحدى المدارس الصناعية بالقاهرة — لا يعلم ما تكن له . من تأتاه ، وتماشيه ، وتخلو به خلوات « بريئة » ولكنها لم تكشف له عن ذات نفسها ، وتأكلها النار في صمت ... ! وتقول في رسالتها إلى الرافعي :

« . . . قدرني ياسيدي في أمري ؛ قلبي يحس أنه يحبني ، لقد قالها لي عيناه ، ولكنه لم يتحدث إلي ، ولست أجد في نفسي القدرة على التصريح له . . . »

وتتوالى رسائلها إلى الرافعي تصف له ماتلاقى من الوجد بحبيبها الذى تكبره بسنوات ، ويقرأ الرافعي رسائلها فيبتسم ، ويتناول قلمه الأزرق فيثوّر فيها علامات يشير بها إلى مواضع و فقَـر تلهمه معاني جديدة وفكراً جديداً ؛ وينشط الحب بالملة العاشقة حتى تنظم الشعر ، فتبعث إلى الرافعي بقصائدها ليرى رأيه فيها . . .

بين يديّ الساعة آخر رسالة من رسائلها إلى الرافعي . بعثت بها إليه قبل منعاه بقليل . ليت شعري كيف انتهت قصة هذا الحب ؟

٣ — وهذه رسالة من (حلب) يدهش كاتبها أن يرى صورة (الشيخ) مصطفى صادق الرافعي مطربشاً حليق اللحية أنيق الثياب ، فيكتب إليه :

« . . . لقد رأيت رسمك يامولاى فتأملته . . فوجدته من أناقة الجلباب ومظهر الشباب على حظ . فهل لك يامولاى فى مجاراة المدنية ومماشاة الحضارة رأى دعاك إلى هذا المظهر الأنيق ؟ . . . »

٤ — وتلك رسالة من (دمشق) وقع كاتبها فى هوى مغنية مشهورة ، يحسن بها الظن إحساناً يمثلها لعينيه مَلَـكا أنثى ؛ لايترك مجلساً من مجالس غنائها ، ولا يفكر فى خلوته إلا فيها . . ثم يأتيه النبأ أنها قد سُمّيت على رجل من ذوى اليسار والنعمة ، وأنها موشكة أن تصير له زوجة ؛ فيطير به هذا النبأ ويؤلمه أيّما إيلام ؛ فيكتب إلى الرافعي يقول :

« . . . إن خطيبها على غناه رجل فاسد الخلق ، متقلب القلب ، دنس الذيل ؛ وأنا على يقين أنها ستشقى به وقد خفيت عنها حقيقته . وأنا أحبها وأشفق عليها وأتمنى لها السعادة . . .

« هل يجب عليّ أن أقف وقفة الحذر باقناعها بالعدول عن هذا الزواج الذي لا أتوقع له إلا نهاية واحدة قريبة ، أو ألزم الصمت وأدع الأمور تجرى فى مجاريها وأقطع علائقى معها فأردّ لها صورها ورسائلها احتراما لهذا الزواج من الناحية الشرعية وأدفن ذلك الحب لها فى ركن من أركان قلبي ؟ »

٥ — وذلك طالب فى الجامعة ، له دين وخلق ومروءة ، بلغ مبلغ الرجال وفار دم الشباب فى عروقه فتسلّطت عليه غرائزه ، تغالبه شهواته فلا يكاد يغلبها ، ولا يجد له سلطاناً على نفسه أو وسيلة لقمع شهواته إلا أن يحبس نفسه أياماً فى غرفته الموحشة ، ومع ذلك لا تزال (المرأة) تتخايل له بزينتها فى خلوته وفى جماعته ، فليس له فكر إلا فى المرأة ، وإنه ليخشى الله ، وما به قدرة على الزواج ، ولقد جرب الصوم فما أجدى عليه ، وقد أوشك أن يفقد نفسه بين شهوات تتجاذبه ودين يأبى عليه ... فماذا يفعل ؟

٦ — وهذه فتاة متعلمة ، تعيش بين أبيها وزوج أبيها فى هم لا يطاق ، كل سلوتها فى حياتها أن تقرأ ، وهى لا تحسن عملا ولا تجد لذة فى عمل غير القراءة ، ولكنها تنكر موضعها بين أبيها وزوجه ، إنهما ينكران عليها كل شيء مما تراه هى من زينتها بين الفتيات ، فعلمها حذلقة ، وآراؤها فلسفة فارغة ، ومطالعتها عبث ولهو وسوء خلق ، وفرارها بنفسها إلى غرفتها كبرياء وأنفة وتمضي السنون وهى فى هذا العذاب من دار أبيها ، فلا هي تستطيع أن تحمل أباها وزوجه على رأيها فى الحياة ولا هى تستطيع أن تنزل إليهما ، والمنقذ الذى تنتظر الخلاص على يديه من هذا العذاب لم يطرق بابها بعد ، ولو أنه طرق بابها لأشاحت عنه معرضة فى وجل ، لأنها تسيء الظن بكل الرجال . فماذا تعمل ؟

٧ — وهذا فتى مثاليّ يحسن الظن بالأيام ولكن الأيام تخلفه موعده : أحب فتاة من أهله وأحبته وتواعدا على الزواج ، ولكن أهلها زوجوها من غيره

والتمس الوظيفة التى يؤمل أن يصل إليها بعد تخرجه، فنالها ولكن وجدها غُـلاًّ فى عنقه وكمامة على فمه

وطلب الزلفى إلى الله بالاحسان إلى الناس فبادلوه إساءة باحسان وغدراً بوفاء

وكلما غرس زهرة هبت عليها أعاصير الحياة فاقتلعتها وألقتها فى مواطئ النعال

وبرم بالحياة وضاقت به الدنيا وما يزال فى باكر الشباب ... فماذا يصنع ؟

٨ — وهذا شاب يشهد لنفسه بأنه من عباد الله الصالحين يخاف الله ويخشى عذابه : أحب فتاة من جيرته حباً (عُـذريا) وأحبتـه ، وبرّح بهما الحب حتى ما يطيقا أن يمضي يوم دون أن يلتقيا ، ولقيته ذات مساء فى خلوة بعيـدين عن أعين الرقباء ، وما أكثر ما التقيا فى خلوة ، ولكن الشيطان صحبهما هذه المرة

إلى خلوتهما ... ووقعت الجريمة من غير أن يكون لها إرادة أو يكون له ...

... ولما فاءت إليه نفسه أخذ يكفكف لها دموعها وهو يبكي ووعدها أن يتزوجها حين ينتهي من دراسته بعد سنتين أو ثلاث ، وكان صادقاً في نيته ، وكانت الفتاة مؤمنة بصدقه ، ولكنها لم تُطق الانتظار حتى تمضي السنوات الثلاث ولم تطق أن تراه بعد ؛ وجاءه النبأ بعد ثلاثة أيام أنها ماتت محترقة ...

وعرف هو وحده من دون أهلها ومن دون النـاس جميعاً كيف ماتت . . . ومنذ ذلك اليوم تلاحقه صورتها في نومه وفي يقظته ؛ ومضت سنتان منذ وقعت الفاجعة ولكنه ما يزال يذكرها كأنها كانت بالأمس ، وكتب إلى الرافعي يقول في رسالته :

« ... إنني أنا الذي قتلتها ، إن دمها على رأسي ؛ لقد ماتت ولم يعلم بسرها أحد غيري وهذا أشد ما يؤلمني ، واقد احتملت بصبر وثبات كل ما نالني في هاتين السنتين من تأنيب الضمير وعذاب القلب ، ولكني اليوم أحس بأن صبري قد انتهى ولم يبق فيّ قوة على الاحتمال أكثر ممـا احتملت ... فماذا أفعل ، ماذا أفعل ...؟ »

* * *

ألوان وصور ، وملائكة وشياطين ، ونفوس تتعذب ، وقلوب تحترق ، وأنات وابتسامات ، ودنيا لم يكن للرافعي بها عهد ، ولم تـكن تخطر له على بال .

وفي الأسبوع الآتي بقية الحديث عن رسائل القراء .

« شبرا » محمد سعيد العريان

جورجيـــاس

أو البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٢ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

ب — (متابعاً حديثه عن أرشليوس) والواقع أنه بُعِثَ أولا ليبحث فيما يقال عن « الكِيتاس » Alcetas عمه وسيده كيما يرد إليه العرش الذي سلبه منه أخوه « بردكاس » Perdicaas ، ولـكنه ما أن عثر عليه حتى أسكره وأثمله هو وولده « الـكسندر » الذي كان يقاربه في السن ، ثم وضعهما في عربة وخرج بهما

(١) بدأ سقراط في العدد الماضي فقال إن ارتـكاب الظلم أفدح من احتماله ، وإن المظلوم أسعد من الظالم . وقد أخذ بولوس يناقضه في ذلك القول مناقضة شديدة ويضرب له مثلا دقيقاً محرجاً هو الذي بدأناه في الأسبوع الماضي ووعدنا بتـكملته هذا الأسبوع . والحق إن بولوس كان بارعاً في اختيار هذا المثل والمثل الذي سيليه . وعلى القارىء الـكريم أن يتتبع المحاورة وأن يحاول الادلاء في جانبيها — الروحاني والمادي — برأيه الخاص . وأكون سعيداً إذا تلقيت ردوداً في جانب بولوس وأخرى في جانب سقراط

« المعرب »

ليلا إلى العراء حيث ذبحهما وأخفاها دون أن يتصور أنه قد أصبح بعد جريمته هذه أشقى الناس وأتعسهم ، ودون أن يشعر حيالها بأي ندم أو تأنيب ! ! ؟ ؛ وبعد فترة قصيرة مضى إلى أخيه ذى الحق الشرعى فى العرش – وكان طفلا لم يبلغ السابعة بعد ، وبدلا من أن يسعد نفسه بالاشراف على تربيته وتعليمه كما كان يجب عليه ، وبدلا من أن يمنحه السلطة المشروعة : رمى به فى بئر وقال لأمه « كليوباترا » إنه وقع فيها ومات بينما كان يجرى خلف أوزة ! ! ؟ ؛ وعلى هذا يجب أن يكون أشنع أهل « مقدونيا » إجراما[1]، وأكثرهم تعاسة وشقاء بدلا من أن يكون أوفرهم سعادة وهناء ! ولكن ربما يوجد أكثر من أثينى – إذا بدأنا بك – يفضل مركز أى مقدونى آخر على مركز « أرشليوس » ! !

ط – لقد هنأتك منذ بدأ الحديث على ما لاح لى من تدفق خطابك . ولكنى قلت لك حينذاك إنك أهملت فن الحوار إهمالا ! والآن هل هذا هو التدليل المشهور الذى يستطيع حتى الطفل أن يناقضنى به ؟ وهل أستطيع أن أقتنع بك وبقولك إنى كنت مخطئا عند ما قلتُ إن الرجل الظالم لايكون سعيدا ؟ وكيف أقتنع وأرضى ياعزيزى وأنا لست على وفاق مع أي تأكيد من تأكيداتك ؟

ب – ذلك من سوء إرادتك لأنك فى صميمك ترى رأيى !!

ط – حسن جدا يابولوس فأنت تحاول أن تناقضنى بأسلوب المحاماة كما يدعى من يفعل ذلك فى المحاكم ! ، إذ هناك يعتقد المحامون أنهم يناقضون خصمهم إذا هم دعموا دفاعهم بشهود عديدين محترمين فى الوقت الذى لا يستطيع الخصم فيه إلا أن يحضر شاهدا واحدا أو لا شاهد على الاطلاق ! . ، ولكن هذه الطريقة عديمة الجدوى لأن الفرد الواحد قد يتعرض لشهادات خاطئة من شهود عديدين ومعروفين بالنزاهة والاستقامة ! ! وإذا شئت فى حالتنا الراهنة ، وفيما يتعلق بما تقول ، أن تقدم شهودا يشهدون على خطأى ، فسترى أن جميع اليونانيين والأجانب تقريبا يرون رأيك الخاص ! وأنت تستطيع إذا شئت أن تجعل « نكياس » ابن « نيسراتوس » يشهد فى جانبك ومعه إخوته الذين نرى مواقدهم مصفوفة فى محراب « ديونيسس[1] » ، كما تستطيع أن تجعل « اريستوقراط[2] » ابن « سكيليوس » صاحب القربان الجميل فى « بيثو » أن يشهد بالمثل ، لا بل أمامك إذا رغبت كل عائلة « بركليس » أو أية عائلة أثينية يسرك بعد ذلك أن تختارها ! ! ، ولكن سيظل رأيى – ولو أنى وحيد – مخالفا لهؤلاء جميعا لأنك لم تقنعنى بعد ! ذلك أنك لم تفعل سوى التقدم بذلك الجمع من الشهود الزائفين لكيما تنزع منى الحقيقة والخير ! ، ولكنى – على النقيض – إذا لم أظفر بك أنت نفسك ، وأنت وحدك كشاهد ، وإذا لم أجعلك توافق على قولى ، فانى أعد نفسى كأنى لم أقدم ما يجرؤ على حل السؤال الذى يشغلنا ، كما أعدك لم تفعل شيئا بالمثل إذا لم أشهد لك وحدى وبشخصى . وإذا لم ترفض عداى كل الشهود الآخرين ! فهناك إذا طريقة للمناقضة هى تلك التى تعرفها ويعرفها معك الكثيرون ، ولكن هناك طريقة أخرى أتخيلها من ناحيتى[3]. فلنقارن إذا هاتين الطريقتين ، ولنر إذا كانتا تختلفان فيما بينهما ، لأن الأشياء التى نتنازع فيها ليست باليسيرة فى نتائجها ، بل إنه لا يوجد ما هو أجمل فى معرفته ولا أشنع فى الجهل به منها ، لأنها تتعلق إجمالا بمعرفة ما هو جميل وما هو قبيح . ! ! . .

ومن حيث النقطة التى تشغلنا : أترى أن الانسان يستطيع أن يكون سعيداً عند ما يظلم ويرتكب الشر ، لأنك تعتقد أن ذلك هو تدليلك ؟

ب – نعم ، إن هو إطلاقا !

ط – وأنا أزعم أن ذلك محال ! . وتلك هى النقطة الأولى التى نختلف فيها فلنمض إلى الثانية . أيكون الظالم سعيداً إذا تقدم للعقاب ؟ ؟

---

(١) يقصد أرشليوس بطل هذه القصة بالطبع .

(١) أحرز نكياس وإخوته هذه المواقد كجوائز عيانية .

(٢) يذكر « تيوسيدس » أنه أحد رؤساء الأشراف .

(٣) يلاحظ هنا أن أفلاطون لايعنى بشهادة الكثرة بقدرمايعنى بشهادة الشخص الذى يحاوره . وتلك هى الطريقة المثلى فى الاقناع لأنه ليس بعد الظفر بخصمك وجعله شاهدا لك ظفر . أما الشهود الكثيرون فكلهم جهل وزور ولا سيما إذا كانوا يشهدون فى قضايا الفلسفة الكبرى كالمثل الأعلى ونحوه « المعرب »

ب — كلا على الاطلاق ! . إنه يكون تعيساً جداً فى هذه الحـالة !!

ط — وإذاً فأنت تراه سعيداً إذا لم يعاقب ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وأنا أزعم يابولوس أن ذلك الذي يرتكب الظلم ويحمله فى قلبه يظل شقياً فى جميع الأحوال ، وأنه يكون أكثر شقاوة إذا لم يعاقب على ظلمه ، أما إذا عوقب ولقى جزاءه من الآلهة والناس فانه يكون أقل شقاء[1] !

ب — إنك تروج يا سقراط لمتناقضات عجيبة !!

ط — سأحاول يا رفيق أن أشركك فى عاطفتى لأنى أعدك صديقاً . هاك هى النقط التى نختلف عليها فلترها بنفسك . لقد قلتُ من قبل إن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله ؟

ب — نعم !

ط — وقلتَ أنت إن احتماله أفدح من ارتكابه ؟

ب — نعم

ط — وقلتُ أيضاً أن مرتكبي الظلم أشقياء فناقضتنى ؟!

ب — نعم وحق زيوس !

ط — أذلك هو ما تعتقد — على الأقل — فيه يابولوس ؟

ب — ولى الحق فى الايمان به !

ط — ذلك جد ممكن . ولكن أرى من ناحيتك أن أولئك الذين يظلمون يكونون سعداء إذا فروا من العقاب ؟

ب — تماما

ط — وأنا أرى أنهم أشقى الأشقياء وأن أولئك الذين يلقون جزاء ظلمهم يكونون أقل منهم شقاء ! . أتريد مناقضتى أيضاً فى هذه النقطة ؟

ب — أواه ياسقراط إنها لأصعب فى المناقضة من سابقتها !!

ط — لا تقل « أصعب » يا بولوس بل قل « مستحيل » لأنك لن تناقض « الحق أبداً[2] »

ب — أى شئ تقول ؟ ذلك هو شئ باغتناه وهو يحاول أن يكون ظالماً طاغياً فأوقفناه ، وعذبنـاه ، فسملنا عينيه وقطعناه بقسوة بمختلف وسائل التعذيب ، ثم أنزلنا بامرأته وأولاده نفس العذاب ، ثم صلبناه أخيراً وطلينا جسده بالقار وحرقناه حيا ! ، أترى لا يكون هذا الشخص أسعد لو قد فرّ وصار طاغياً فى حكم مدينته ، وأشبع شهواته ، وأصبح موضوعا للاعجاب والحسد من الأجانب والمواطنين ؟ ؟ ذلك ما ترى أن مناقضته مستحيلة ياسقراط !!

ط — إنه لخيال مزعج ذلك الذى تقدمه أيها الشجاع بولوس! ولكنك مع هذا لم تناقضنى فى شئ لأنك لم تفعل إلا مثلما فعلت عند ما كنت تقدم شهودك !! لذلك أرجو أن تذكرنى بشئ يسير ! . لقد فرضت أن ذلك الشخص كان يطمح « بظلم » إلى الطغيان ؟ ؟

ب — نعم ![1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) وسنرى فى العدد القادم كيف يعزى سقراط ذلك « المثل » المحرج كما يعزى المثل السابق له « المعرب »

(١) ذلك هو خلاصة المحاورة . وسنرى كيف يبرهن عليه أفلاطون بتحليله العميق

(٢) قول خالد لافلاطون !

العاطفة
وأثرها في التقدير الأدبي
للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

لما وضع أرسطو مذهبه فى النقد الأدبى ، أقامه على المنطق والفكر ، واعتبر العقل وحده كلَّ شىء فى إدراك الحقيقة الفنيّة النافعة(١) ، يكشف ويوضح ، ويقيس ويضبط ، ويلتمس ويعلل ، وينتهى من وراء ذلك كله إلى جملة من الضوابط والقوانين ، يراها صالحة فى كل زمان ومكان لقياس الفن ، وتقدير الأدب ، وفهم الجمال . فكأن النقد عند هذا الفيلسوف الخالد ، باب من الفلسفة ؛ وبحث فى العلم ، فهو يعالجه بالقياس الثابت ، والبيان المدرك ، والخبر المتواتر ، والشاهد البيّن ، فأما الحس فلا اعتبار له عنده ، ولكنه — كما يقول المعرى — زجر طير هى خليقة بالكذب ، فان صدقت فباتفاق ! !

هذا المذهب الذى وضعه أرسطو كان مثار خلاف بين النقاد من بعده ، وخصوصاً النقاد الفرنسيين الذين نهلوا من مراشف الثقافة اليونانيّة ، فجماعة من ورائه يقولون العقل فحسب ! وجماعة يذهبون إلى أكثر من ذلك فيقولون : العقل والعاطفة . والذين قرأوا تاريخ الآداب الفرنسية يعرفون إلى أى حد كان النقاد فى الطور الأول يمجدون العقل ويذعنون لمنطقه ، حتى لقد حاول « ماليرب » أن يخضع له قرائح الشعراء وعواطفهم ، ثم أتى من بعده « بوالو » الذكى الفطن (٢) فمنح العقل المرتبة الأولى فى تعداد الصفات البشرية ، واعتبره مصدر كل أثر ذى شأن فى النقد والأدب . ولكن لما جاء « شاتوبريان » انتهج فى النقد نهجاً أحفل بالفن فقال : إن العقل وحده لاينتج أعمالا عظيمة ، وإن الناقد الحقيق من حكّم عقله وقلبه ، واستغلّ منطقه وعواطفه معاً فى فهم مايقرأ . فلما كان العهد الأخير قامت المناظرة حادة عنيفة بين فرديناند برونتيير وأناتول فرانس حول الملكات المعتبرة فى النقد فقال برونتيير : العقل . . . ثم العقل . . . ثم العقل . وقال فرانس : كلا ! ! لايمكن أن يكون فن الأدب غير عاطفى ، وكذلك نقده . لأن الفن ذاته عاطفة ، وكاذبون هم أولئك النقاد الذين يزعمون أنهم قادرون على انتقاد الأدب وتقديره دون عواطفهم! وعندى أنه ليس أسخف من ناقد يتخذ مقاييس الألفاظ والأوزان فى نقد قطعة فنية نفخ فيها صاحبها من عواطفه ، واعتصرها من روحه وإحساسه ، فأن المشاكل الخفية فى الأدب والنقد لايحلها علم النحو والصرف ، ولاتشرحها المعاجم وأوضاع اللغة ، ولكنها فى حاجة إلى تلك العاطفة الملوبة الفياضة التى لاتقيدها فواصل وحدود ، ولاتحدها أبعاد وتخوم ! !

والواقع أننا نستبد بعواطفنا كثيراً ونجحد الحق وما هو ثابت من نواميس الحياة إذ نندفع فى تيار أولئك الواقعيين فنعتبر العقل كل شىء فى تعليل كل ما نرى من المظاهر والظواهر ، حتى ما يتصل بميولنا وعواطفنا ؛ فأن هنالك القلب يجب أن نجعل له اعتباراً كبيراً في شئون الحياة إلى جانب العقل ، ويجب أن نعتقد بأن له منطقاً كمنطق العقل إن لم يكن أرهف وأدق ، وهو وحده الذى يشعرنا فى رحلة الحيـاة الشاقة ببرد الراحة ، ويقع من نفوسنا اللاغبة موقع الماء العذب من نفس الصادي فى البهماء القاحلة . ولا شك أننا لو طاوعنا هؤلاء الناس وجعلنا العقل كل شىء لصارت الحياة جحيماً لا تطاق، ولفررنا من شقائها كما يفر بعض الناس فى هـذه الأيام بالموت والانتحار ، بل ولتمردنا على كثير من النظم والأوضاع والشرائع الطيبة النافعة التى تكفل السعادة للمجتمع ، والتى لا يمكن أن يجحدها أولئك الواقعيون الماديون أنفسهم . وأنت — أبقاك الله — تأمل فى نفسك ، وانظر فيما يحف بك من النظم الاجتماعيـة ، والقيود الثقيلة التى تربطك بالمجتمع الذى تعيش فيه ، والسلاسل والأغلال التى تثقل جيدك وتنقض ظهرك ، من واجبات نحو الأسرة ، والأب ، والأم ، والزوجة ، والوطن ، والدين ، والتقاليد ، وفكرات الشرف والعرض ، وكل ما إلى ذلك ، ثم استسلم إلى العقل وحده وانزل على حكمه فى فهم تلك الأمور عامتها ، تجده يجيبك جواباً لا يرضاه العقل نفسه ، لأن الطبيعة قد خصت الانسان

(١) النافع والجميل : لفظان مترادفان عند سقراط ! !

(٢) هكذا وصفه بول فاليري . .

بشيء يمتلك ناصية عقله ويتحكم فيه التحكم كله ، شيء آت من الناحية الروحية القلبية التي هي مصدر العواطف والمشاعر [١] ، فالانسان — كما يقول العقاد — لا يحيا بالعقل وحده ، ولا يفهم بالعقل وحده ، ولكنه يحيا بالحياة التي هي مجموعة من الحس والغريزة والعطف والبداهة والخيال والتفكير . فأنت إذا أردت أن « تفهم » إنسانا فليست كل وسائلك إلى فهمه أن تسلط عليه ملكة التحليل والتعليل ، بل أنت مشترك في فهمه بخيالك وحسك وغريزتك وتفكيرك وعطفك وجميع أجزاء حياتك ، وشأنك في فهم الكون كشأنك في فهم الانسان أو فهم أي شيء من الأشياء وخاطرة من الخواطر . فقولك « تفهمها » مرادف لقولك تحسها وتتخيلها وتشملها بعطفك وبديهتك وتفكيرك . ولأن تحس ما ينبغي لك عمله دون أن تقوى على تعليل ذلك خير لك وألف خير من أن تعلل وتحلل وأنت عاجز عن العمل والاحساس [٢]

وإذن فليس من الصواب أن نتخذ العقل وحده طريق إدراك وفهم ، وأداة تقدير وحكم ، وإنما الواجب أن نستخدم في ذلك جميع حواسنا وعواطفنا وكل ما لدينا من المواهب والملكات . وإذا كان هذا من اللازم بالنسبة لاعتبارات الحياة ومسائل العلم ، فأنه لا شك ألزم بالنسبة لتقدير الأدب الذي هو فيض العواطف ، وذوب المشاعر ، ورسالة الروح ، ومن ثم تعلم سر الفشل الذي يحيق بأناس يحملون أنفسهم على معالجة الأدب ، ويبيحون لضمائرهم القضاء في مسائله وهم أجلاف غلاظ قد سلبوا كل إحساس وكل عاطفة . ولقد حكى العقاد فقال : كنا منذ أيام نتطارح قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده « محمد » وهي القصيدة التي يقول فيها :

طواه الردى عني فأضحى مزاره   بعيداً على قرب قريباً على بعد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها   وأخلفت الآمال ما كان من وعد
ألح عليه النزف حتى أحاله   إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد
وظل على الأيدي تساقط نفسه
ويذوي كما يذوى القضيب من الرند

(١) راجع ما كتبناه في الرسالة (٢٤٠) وكتاب بين الدين والعلم ترجمة اسماعيل مظهر

(٢) الساعات ص ٢٣٩

إلى أن يقول :

وأولادنا مثل الجوارح أيها   فقدناه كان الفاجع البيّن الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله   مكان أخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفي مكانه
أو السمع بعد العين تهدي كما يهدي
لعمري لقد حالت بي الحال بعده
فيا ليت شعري كيف حالت به بعدي
ثكلت سروري كله إذ ثكلته
وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد

إلى أن يقول :

محمد ! ما شيء توهم سلوة
لقلبي ، إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا
فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لي سلوة بل حزازة
يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

فكنا نجمع على أنها خير ماقيل في الشعر العربي في رثاء ولد ، إلا رجلا لا بأس باطلاعه كان يقول : ولكن أحسن من هذا قول ابن نباته في رثاء ابنه :

قالوا فلان قد جفت أفكاره   نظم القريض فما يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما   سكن التراب وليده وحبيبه

وقوله فيه :

ياراحلاً من بعد ما أقبلت   مخايل للخير مرجوّة !
لم تكتمل حولاً وأورثتني   ضعفاً « فلا حول ولا قوة »

وجعل يعجب من « وليده وحبيبه » التي فيها تورية بالبحتري وأبي تمام ! ويستظرف قوله « فلا حول ولا قوة » ويقول : إن في هذا المعنى لحسنا ! وقد استغرب العقاد ذلك الاستحسان من ذلك الرجل الذي « لا بأس باطلاعه » وعجب له كيف يرفع ابن نباته في شعوذته وألاعيبه على ابن الرومي في لوعته وأساه [١] ؛ وعندي أنه لا وجه للعجب والاستغراب ، لأن ذلك الرجل وإن كان « لا بأس باطلاعه » إلا أنه — على

(١) راجع الساعات ص ٧١ و ٧٢

ماهو واضح من شأنه — لم يرزق الأحساس الفني ، والعاطفة الفياضة التي تفتح له آفاقاً من الفهم ، وتهيء له الأدراك والنظر في الأدب وماهو بسبيل الأدب من مظاهر الفن والجمال ، فليس من الغرابة أن يخطيء ذلك الرجل في التقدير الأدبي ، وأن يسف هذا الإسفاف البين في الحكم على الشعر ، ولكن من الغرابة أن يباح له النظر في الأدب ، والحكم على أقدار الأدباء ، ووضعهم فيما هو جدير بهم من المكانة الفنية ، وما هو من أهل ذلك ولا عنده أداته من الطبع والحس والعاطفة وبشاشة الروح . وكأن الجاحظ كان يقرر هذا المعنى إذ يقول : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فألفيته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينتقد إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات . وصدق أبو عثمان ، لأن أدباء الكتاب أدق إحساساً ، وأوفى شعوراً ، وأرهف عاطفة ، فهم أقدر على اختراق معالم الوجدان والاحساس بجمال الآثار الفنية ، والصور الذهنية المرسومة ، فيكون بين الناقد والقائل تجاوب روحي ، وامتزاج في الأحاسيس ، وهـذا هو طريق الادراك الصحيح ، والتقدير الحق ، وكأني به الطريق الذي ينشده الفنانون أنفسهم ، فقد طلب «بودلير» في الناقد أن يكون مرهف العاطفة ، دقيق الاحساس ، ينتقد بانفعال ، لأن الانفعال يقرب بين الأمزجة ويسمو بالإدراك وكذلك اشترط البحتري في نقد الشعر أن يكون من شاعر مارس الفن ، إذ سأله عبيد الله بن طاهر فقال : يا أبا عبادة ! مسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ، ويتنوّع في كل مذهب ، إن شاء جد ، وإن شاء هزل ! ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيي ثعلباً لا يوافقك على هذا ! فقال : أيها الأمير ! ليس هـذا من علم ثعلب وأضرابه ... وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ! !

وإنها لنظرة بصيرة اتفق فيها الشاعران الفرنسي والعربي ، لأن الناقد فنّان قبل كل شيء ، وإن التقدير الأدبي موهبة لا تتأتى ولا تستقيم كما يظن بعض الناس بدراسة النحو والصرف ، واللغة والغريب ، والتوفر على البحث في بطون الكتب ، فان هذا كله لا يجدي ولا ينفع إذا لم تكن ثمت فطرة سمحة ، ونفس مجلوة وطبيعة مواتية ، وعاطفة فياضة فنّانة ، وإن العلم مهما بلغ مقداره لا يخدم في الفطن الجمة ، ولا يقوّم الشاعر الموحجة . ويا ضيعة الأدب ، ويا خسارة الفن إذا ما جمدنا في تقديرهما على أوضاع أهل اللغة ، واعتبارات علماء البلاغة . ولعمرك إلى أي حد تفيد هذه الأشياء في التقدير الفني لقول الطغرائي مثلا يصف شجو حمامة سمعها تنوح وهو غريب بالعراق :

أبكيّة صدحت شجواً على فنن ... فأشعلت ماخبا من نار أشجاني
ناحت وما فقدت إلفاً ولا فجعت ... فذكرتني أوطاري وأوطاني
طليقة من إسار الهم ناعمة ... أضحت تجدد وجد الموثق العاني
تشبهت بي في وجدي وفي طربي ... هيهات ما نحن في الحالين سيان
ما في حشاها ولا في جفنها أثر ... من نار قلبي ولا من ماء اجفاني
يا ربّة البانة الغناء تحضنها ... خضراء تلتف أغصانا بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ... ناء عن الأهل ممنوع بهجران
فقارضيني إذا ما اعتادني طرب ... وجداً بوجد وسلواناً بسلوان
أو لا فقصرك حتى أستعين بمن ... يمنيه شأني ويأسو كلم أحزاني
ما أنت مني ولا يعنيك ما أخذت ... مني الهموم ولا تدرين ما شاني
كلي إلى الغيم إسعادي فان له ... دمعاً كدمعي وإرناناً كإرناني

أو كقول ابن الجهم :

وارحمتا للغريب بالبلد النّـــازح ماذا بنفسه صنعا ؟
فارق أحبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وفي غربته : ... عدل من الله كل ما صنعا !

أو لهذه القطعة التي نفث بها حافظ وقد عبر بدار كانت مدرجة لهوه ، وملعب شبابه ، فلما رآها قد غيّرت معالمهـا الأيام حتى خفيت عليه جاشت نفسه بالشعر فقال :

كم مر بي فيك عيش لست أذكره ... ومر بي فيك عيش لست أنساه
ودعت فيك بقايا ما علقت به ... من الشباب وما ودعت ذكراه !
أهفو إليك على ما أقرحت كبدي ... من التباريح أولاه وأخراه
لبسته ودموع العين طيعة ... والنفس جياشة والقلب أواه
فكان عوني على وجد أكابده ... ومر عيش على العلات ألقاه
إن خان ودي صديق كنت أصحبه ... أو خان عهدي حبيب كنت أهواه
قد أرخص الدمع ينبوع الغناء به ... والهفو ونضوب العيش أغلاه
كم روح الدمع عن قلبي وكم غسلت ... منـــه السوابق حزناً في حناياه
لم يدر ما يده حتى ترشفه ... فم المشيب على رغمي فأفناه

قالوا : تحررت من قيد الملاح فمش

حراً ففى الاسر ذل كنت تأباه

فقلت : يا ليته دامت مرامته   ما كان أرفقه عندى وأحناه

بدلت منه بقيد لست أفلته   وكيف أفلت قيداً صاغه الله ؟

أسرى الصبابة أحياء وإن جهدوا

أما المشيب ففى الأموات أسراه !

فهذا شعر حى نابض ، يتفجر بالعواطف ، ويفيض بالأحاسيس حتى لتلمس فيه من ذلك أجساماً حية ... وإنه لنمط أعلى من الفن الخالد على الأيام ، الباقى على الدهر ، ولكن ترى ما ذا تكون قيمة هذا الشعر إذا ما وقف ناقد فى تقديره عند قواعد اللغة والنحو ، وتناوله بمقاييس « التورية والجناس ، والمقابلة والطباق ؟ إنه لا شك ينحط به سافلا سافلا حتى الحضيض ، وإنه لا شك سيرتفع عليه عالياً عالياً بسفاسف الطبقة النازلة من أمثال ابن النبيه والشاب الظريف كما رفع صاحب المقاد « ابن نباته بشعوذته وألاعيبه على ابن الرومى فى لوعته وأساه » ومن هنا تنقلب الأوضاع ، ويغدو النقد وهو أداة جمود بالأدب ، وخذلان للقرائح العبقرية ، وعامل تقهقر يرجع بالفن إلى الوراء أضعاف ما يجب أن يندفع به إلى الأمام !

فالناقد الحقيقى هو من حكم عقله وقلبه كما يقول شاتوبريان واستغل منطقه وعواطفه فى تقدير ما يقرأ ، حتى يستطيع أن يقدر التقدير الصحيح ، وأن يخدم الحقيقة الفنية والجمال البيانى وإلا فهو فاشل فى مهمته ، يجنى على الفن ، ويبخس النبوغ ، ويكشف نفسه ويعرضها للسخرية ، وكأن العلماء قد أدركوا تلك الحقيقة إذ أنكروا على « المعلمين » والرواة أن يكون لهم فى نقد الشعر والحكم عليه ، فكثيراً ما تنادر الجاحظ عليهم من جراء ذلك حتى اتخذهم مادة لعبثه ومضاحيكه ؛ وكثيراً أيضاً ما نالهم الشعراء أنفسهم بقوارص الكلم ، وأليم الهجاء . ولعل من أنكى ما لهم فى ذلك قول عبيد الله بن عبد الرحمن الأهوازى فى معلم أزرى على شعره :

يعيب الأحمق المغرور شعرى   ويهجوى فى بلادته يسير !

وزعم أنه نقاد شعرى

هو الحادى وليس له بعير

وفى هذا النمط ما روى من أن أبا جعفر الخزاز عاب شعراً للبحترى ، فكانت كبيرة على نفس البحترى حتى عدها إحدى نوائب الدهر إذ يقول:

الحمد لله على ما أرى   من قدر الله الذى يجرى

ما كان ذا العالم من عالمى   يوماً ولاذا الدهر من دهرى

يعترض الحرمان فى مطلبى   ويحكم الخزاز فى شعرى

وقد كان الخزاز كما وصفه ياقوت راوية مكثراً موصوفاً بالثقة أخذ عن أبى الحسن المدائنى والعتابى ، فما نحسب البحترى أنكر عليه النظر فى الأدب والحكم على شعره من جهة اطلاعه وعلمه، ولكنه لا شك أنكره عليه من جهة استمداده الفنى ، ورحابة عواطفه ، وسماحة طبعه . ولست أدري ما ذا كان يقول أبو عبادة لو امتد به الأجل ورأى الأدب يحتمل الرهق كل الرهق من « خزازين » كثيرين يتولون دراسة الأدب فى مدارسنا المصرية وهم كجماعة المعلمين فى قرطبة الذين تحدث عنهم ابن شهيد فى قصة التوابع والزوابع ينحتون عن قلوب غليظة كقلوب البعران إلى فطن حمئة ، وأذهان صدئة ، لا منفذ لها من الرقة ولا مدب لها فى شعاع البيان ، وكل بضاعتهم من الأدب كلمات من غريب اللغة ، وبعض مسائل من النحو والصرف وعلوم البلاغة لا يفهمون منها إلا ما يفهم القرد اليمانى من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان . فهم يتنكبون النواحى العاطفية فى الأدب ، ويقفون فى تقديرهم عند الصور الجافة من الفن البيانى يقدمونها لتلاميذهم فيجد التلاميذ فى تناولها غضاضة دونها غضاضة المريض من تناول الدواء ، الأمر الذى ألقى فى روع أولئك المساكين أن الأدب العربى كله نمط واحد من الكزازة والجفوة والتشوفة والثقالة والثقل ، فانصرفوا عنه يطلبون متاعهم العقلى ولذتهم العاطفية فى رياض الآداب الغربية ، فاذا ما جلست إلى الواحد منهم وجدته من العلم بتلك الآداب بمكان ، على حين لا تجده من الأدب العربى على بال ، وتلك حال لو دامت فستكون الشر المستطير ، والخطر الكبير

محمد فهمى عبد اللطيف



إلى مؤتمر نواب العرب

لبيك ! لبيك ! فلسطين

للأديب السيد ماجد الأتاسي

إذا كانوا يزعمون أن هذا العصر عصر الديمقراطيات والحريات والمساواة في الحقوق والواجبات ، فهو إذن عصر المؤتمرات للأفراد والجماعات والهيئات . والناس يأتمرون من مختلف الأمم ، ويريقون على هذه المؤتمرات عواطفهم وميولهم ، وينفضون عليها آمالهم ومثلهم ، ويحيطونها بالضجيج وفنون الدعاوة ، فإذا الناس يتحدثون عنها إذا أمسوا وإذا أصبحوا ، حين يكتبون ، وحين يخطبون ، وحين يسمرون ، وحين يهذون . وقد تصبح هذه المؤتمرات ملء الدنيا وشغل الناس ، وقد يكون لها نصيب من حق ، وحظ من جمال ، ونسم من مثل عليا ، ولكنها — على هذا كله — تبقى مؤتمرات تضم طائفة من أهل الأرض !

ولكنها — على هذا كله — تبقى أرضية ، أرضية ! ...

أما مؤتمر العرب اليوم ، دفاعاً عن فلسطين ، فهو نوع آخر من المؤتمرات فذ طريف ؛ من طراز لا عهد لأبناء الأمم الأخرى به ولا قبل لهم بمثله ...

هو مؤتمر برئ كرقصة العجوز ، صادق كصلاة الطفل ، رائع ككلم الحسناء ، شريف كأغنية البطل في جوف الليل .

هو ، بأهل المشارق والمغارب ، مؤتمر اشتركت فيه الأرض والسماء ! وهل اشتركت الأرض والسماء في مؤتمر قبل اليوم ؟! .

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل الأرض لم تتصل مرة بالسماء ، اتصالها بالقاعة التي ضمتكم ، تلك القاعة التي هيأتها الأقدار لتكون اليوم مهبط الوحى ، ولتكونوا أنتم اليوم رسل هذا الوحى إلى العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ! ..

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل مواكب العرائس من الحور العين كانت تمتد على حفافى طريقكم إلى قاعة المؤتمر مزغردات ، هازجات ، فأثارت على رؤوسكم الفل والياسمين والريحان ، نافحات مواكبكم بأطايب العطور ! ..

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل أجنحة الملائكة كانت تخفق في جو القاعة المباركة ، فتنفض عليه النور والقوة ، والهناء والثقة ؛ ولعل أرواح الأنبياء كانت — إذ وطأت أقدامكم عتبتها — تفوح حمداً ودعاء ، احتفالاً برسل الأخوة ، وقيام الدعوة مرة أخرى إلى « حطين » ثانية ! .. آيات من وحى السماء كانت

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل آيات من وحى السماء كانت تتنزل على شفاهكم حين تكلمت قلوبكم من على المنابر الخاشعة ، فخنس — إذ تكلمت — الشيطان ، وارتعد الأرعن العجلان ، وكبّرت وهللت — إذ تعاهدتم — الأرض والسماء وملائكة الرحمن ! ..

اليوم تأتمرون ، وتصلون لأجل فلسطين ، بابقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ..

واليوم تتلفت فلسطين المفجوعة ، ترسل النظر الحائر الدامع إلى قبلة الحرم ، ترتقب من قاعة المؤتمر ومضة النور ، ونفحة القوة ، ودعوة الجهاد ؛ وجبل النار ، جبل النار الذى صهرته الشدائد ، وهدته النوازل ، وطهرته الدماء ، واجتاحته النار ليكون روضة من رياض الجنان ، يرتقب اليوم من مؤتمركم قطرات الندى لزهره الذى ذوي ، وانبعاث الربيع لربعه الذى أقوى ، وانتعاش الحياة في هيكله الذى يضوى .

اليوم ، تأتمرون ، وتصلون لأجل فلسطين ، يابقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ! ..

واليوم ، ترنو إليكم — في إسارها ومحنتها — بضراعة المهان ، وانكسار الذليل ، واستغاثة المصاب ، ابنة عم قيدوها عند صخرة المسجد الأقصى ، ومهد المسيح

اليوم تمد يديها إليكم ، وقد بهرتها الشدائد ، وفدحتها المصائب ، وأجهدها اللغوب ؛ وأبناؤها المدافعون بالأيدى عنها ، يتساقطون - والهف نفسى عليهم — بالقرب منها عزلا واحداً بعد واحد ، وزمرة بعد زمرة ، مشردين في مجاهل المفاوز ، وخوادع السبل ، بين شاب كزهر الصبح معفر الوجه — واحسرتاه — بالرمال ، وشيخ يلفظ النفس في شعاف الجبال ، وطفل يتضور جوعاً في الحصار ، وفتاة كالبدر تبكى مروعة في الأسحار ، وفارس يصبح ويمسى كل يوم في ميدان ، لحافه السماء ومهاده صهوة الخيل ، وقوته الأعشاب ، يذب عن ثانى القبلتين وأيكة الأنبياء والأقطاب ، وخميلة الوحى والايمان ، وعروس الأديان

فى كل زمان ؛ يذب عن عذارى العرب المروعات ، يذب عن الأعراض والحرمات، يذب عن الشرف العربى خشية أن يهان، يذب واهباً لله نفسه ، والوطن روحه ، والعروبة ماله ، فاتحاً ذراعيه للقاء العرائس اللوحات له من وراء النظر وقد فتحن له باسمات متوردات أبواب الجنان، ففاحت عطورها ، وتنوعت زهورها ، وهبت نسائمها ، وصدحت طيورها ، وكبرت وهللت سدنتها يباركون « العريس » الجديد ، يباركون الزائر القادم ، يباركون هذا الجندى الفارس الملثم من جنود صلاح الدين ... !

اليوم تأغرون وتصلون لأجل فلسطين ، يا بقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين !

واليوم أنتم اليد الملائكية الناعمة ، تمتد فى هدأة الليل ، لتكفكف دموع ذلك اليتيم العربى الهائم على وجهه فى فيافى بئر السبع ؟ يفتش عن جثة الأب الشهيد !

أنتم اليوم قطرات الندى يتساقط فى غلس الفجر على قبور الشهداء فترف على زهرات هذه القبور ؛ تلك الزهرات التى رويت من دم قلوبهم فتفتقت — فى روائها ونضرتها — رمزاً حياً لأمانينا ومثلنا ، رمزاً لأمانى العروبة المجاهدة فى فلسطين !

أنتم اليوم زمجرة الثأر تمصف فتهتز لها طرباً عظام الشهداء الهاجعين فى سفوح الجبال ، وترقص عليها النسوة الروعات فى الأسحار !

أنتم اليوم لمة النور تومض فى معامى الأفق النائم ، فتهفو لها قلوب المؤمنين الآمنين الحاصرين فى أجواف الدور ، وشعاف الجبال ، فى فلسطين !

أنتم اليوم بسمة الأمل لمن خلف المجاهدون فى فلسطين وراءهم من شيوخ وأطفال ونساء !

أنتم اليوم ، لحن العزاء لهؤلاء الشيوخ المكابدين لواعج الأحزان على حرمات تنتهك ، ونفوس تزهق ، ووطن يستباح، وشعب يموت، وحق يهضم ، لسواد عيون شعب «مدلل» جيل، لسواد عيون الحسان من بنات صهيون !

أنتم اليوم شبح القصاص يطارد ، بعد موهن الليل . بنات صهيون المجررات عند المسجد الأقصى أذيال الخطايا والآثام !

أنتم اليوم حلم الخلاص الجميل يداعب جفون العذراء العربية عند مهد المسيح النارقة فى غفوة الأحلام ؟

أنتم ... أنتم ... وإن لم يكن بيدكم هذا السوط الذى يهزه اليوم هتلر وموسوليني فى وجههم ... فاذا هم كالأنعام ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : فيكم تاريخ يثور، وماض يبعث ، وحاضر يتوثب ، ومستقبل يتوعد ، وعلى لسانكم — فوق هذا وذاك — حق يتكلم

والمجرم ، المجرم ، يا قوم ، هو أجبن خلق الله وإن كان أقوى الأقوياء ! هو يحمل اللعنة فى ثيابه ، وإهابه ، ورن أبداً بين أذنيه صوت القصاص ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : اليوم يعلمون حق العلم أن هؤلاء الذين أمامهم هم الذين عرفوهم ، منذ قرون تحت أسوار أورسليم . واليوم يعلمون حق العلم أن أولئك الفرسان الذين يسابقون الريح فى خطوط النار ، هم هم الفرسان الذى كان يرتفع غبارهم وراء رايات صلاح الدين فى حطين ...

وكل عربي اليوم صلاح الدين . وكل بلد عربي اليوم حطين أيها المؤتمرون :

أتقولون اليوم : إن فلسطين لأهل فلسطين ، وإن ما يقترف فى فلسطين اليوم دونه مآسى تيمورلنك ، ونيرون ، وجنكيز ؟ أم تقولون إن العرب لن يرضوا بعد اليوم بمظلمة يهودى صهيونى واحد ترى فى فلسطين ؟ ! هـذه المظلمة المتقنة التى عافتها أنوف العالمين ، أتقولون هذا ؟ حذار ! حذار ! فالسلم العزيز الرهيف النحيف إذن « يتوعك والتوازن الدولى الجليل الحساس يختل ويغضب ، والدنيا تصبح فى خطر ، وأصحاب الضمائر والعهود الصادقة لن يرضوا فى حال من الأحوال أن ينكثوا بعهد قطعوه ، ووعد منحوه على حساب شعب برئ آمن مطمئن !

السلم ، والمدنية ، وحق تقرير مصير الشعوب ؛ كل هذا هو الحسان اللواتى لسواد عيونهن قاموا وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا، يوم حطم موسوليني تحت سنابك خيله أعرق تاج فى ربوع الحبشة

والبرم لسواد عيون هذه الحسان نفسها ، يجلون فى فلسطين شعباً كاملا عن وطن آبائه وأجداده ليحلوا محله حثالات الشعوب فهم يخربون المدن ، ويقطعون السبل ، ويحاصرون الآمنين ، ويروعون النساء ، ويقتلون الأطفال . كل هذا لأجل السلام ! ووفاء بالعهود والوعود !

أفتدرون ، يا قوم ، ما الفرق ؟

الفرق هو أن يد موسوليني يد قاسية تؤلم إذ تضرب وتوجع ..

وأما يدهم فناعمة رهفة ، فهى — إذ تضرب — كأنها تربت وتلاعب وتغازل . .

إذن اضربونا ، اضربونا ما أجمل هذه الأيدى وما أشد نعومتها ! .. وما أحلى ضرباتها ، يامنصفون !

* * *

أيها السلم ، أيها التوازن الدولى ، أيتها المعاهدات والوعود ! أيتها الحسان الزرق العيون ، يا معبودات تشمبران ودېلاديه خذوني ، وضموني بين ذراعيكم إلى صدركم الجميل ! . .

يا لله ، ما أعجب شأنكن ! أنتن فى أحلام الشعراء ، وعلى ألسنة الساسة ، وفى كتب القانون ، تلك « المروحة » أمام وجه الانسانية الثائرة المحمومة ، تخفف عنها وطأة الحر والحمى ! . . أنتن عند هؤلاء رسل الحب والقبل بين الناس . . . وأنتن — فى الواقع الملموس — ذئاب تعوى ، وأرانب تفر ، وثعالب تمكر ؛ بل أنتن هذا الثوب الفضفاض الجميل الذى يحيكونه فى لندن وباريس ليحجبوا به عن الأعين الدم القاطر من أيديهم ! أنتن — كما قيل — « القفاز الأبيض فى اليد الحمراء » ، « أنتن النقاب الخادع يستر الوجه الكاشر ، والطرف الغادر » ، « أنتن حجة ذئب « لا فونتين » يفرضها على الحمل الضعيف » ، « أنتن معانى الظلم والعنف واللصوصية والاغتصاب تختبىء فى مصطلحات القوانين ! .. أنتن .. أنتن كل ما بلغت الانسانية ، بعد جهاد قرون ، من قدرة على الكذب والتمويه !

سمعنا ، يا حسان ؛ أن أبا كن ويلسن ، هذا السامي الطيب القلب سامي الكتب والأحلام ، قد أقام لكن هناك على ضفاف بحيرة « جنيف » الساحرة مقراً منيفاً ترسلون منه إلى العالم أجمع قبلات الحب والأخوة ، ورسائل السلام والوئام ، وتبعثون منه ، وإلى السماء صلوات المثل العليا ! . .

أيها الطيب القلب ، الثاوي فى هدوء الضمير ،

إسمعنا من هنا ، اسمع أنات عانينا ، ونشجات باكينا ، وضجات جناحنا المهيض .

إسمعنا : إن هذا القصر الذى شدته بيديك الطاهرتين المشبوبتين ليكون هيكلا مقدساً لصلوات نساك الحب والمساواة والسلام . أصبح اليوم حانة من حانات الليل ، تدار فيها خمور الشهوات ، وتدفع بالثملين معربدين فى أجواء العالم ، وبقاع الأرض ، عائثين فيها كاشرة أنيابهم ، محمرة عيونهم ، مفتحة خياشيمهم ، معكرين على الانسانية صفوها ، منغصين عليها أحلامها ! . .

أصبح اليوم داراً من دور الميسر تلهو به الأمم الكبيرة لا الأفراد ، و « الروليت » هناك تدور وتدور ، و « القبيش » يرتفع ويهبط ، وهى فى هذا الدوران والارتفاع والهبوط تدور معهما وترتفع وتهبط لا أموال الأفراد ، ولكن — واحر قلباه — مصائر الشعوب ، ومقدرات الأمم والضعفاء ! . .

أصبح اليوم : سوقاً يأوى إليها تجار الرقيق « بالجملة » « ليتساوموا » فيه ، ويتبادلوا ، ويتهادوا ! . .

أصبح اليوم مأوى للذئاب الخائفين من شرور أنفسهم !

والآن ، أيها المؤتمرون ، إن فلسطين تناديكم .

تنادى المتربعين على عروش الذين كانت تصهل خيولهم ، وتلمع أسنتهم ، ويرتفع غبارهم ، تحت أسوار أورشليم ! ..

فمن يكون اليوم منهم صلاح الدين ؟

من يكون اليوم منهم « المعتصم » لينقذ اليوم ألف عربية بين أيدى الجنود تنادى من وراء قضبان الحديد ، فى غلس الليل « وامعتصماه ! » ؟

أيها المؤتمرون ، أيها الملوك ، أيها الأقيال ، أيها الشيوخ أيتها العجائز ، أيها العرب ، أيها المسلمون : صلوا حين تأوون إلى فراشكم وحين تصبحون ، لأجل فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى موائدكم لأجل المتضورين جوعاً فى فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى أولادكم لأجل اليتامى المشردين فى فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى نسائكم لأجل الأرامل المروعات فى فلسطين !

صلوا : لأجل الشهيد العربى المجهول الهاجع بين وكور النسور فى جبل النار .

صلوا لأجله : فهناك من تراب النبي حفنة ، ومن البقيع الأطهر قطعة ، ومن الفراديس روضة ، ومن رضى الله بسمة ومن البركان نفحة .

صلوا ، صلوا لأجل الشهيد العربي فى فلسطين .

« حمص — سوريا » ماجد الأتاسي

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي خذوا معاني العظمة في مثلها الاعلى من سيرة هذا العصامي العظيم . . . . .

— ٢٤ —

وأنى للرئيس أن يستمرىء الراحة أو يهفو إليها حتى يفرغ من رسالته ؟ لذلك فهو يحمل للعمل وقته جميعاً لا يكاد يدعه لحظة وكان له في هذا الجهاد الأكبر خير عون من عافيته وقوة بدنه ، فلقد بنته الغابة كما تبنى دوحاتها العظيمة ، كأنما كانت تهيئه لهذه العظائم . . .

ولم تكن الحرب وحدها هي كل مايحمل الرئيس من عبء، فلقد كان له ممن يعمل معهم من الرجال ، كما كان له من اختلاف الأحزاب وتبلبل الرأى العام أثقال فوق أثقاله .

وهنالك عدا ذلك موقف الولايات الوسطى التي عرفت باسم المحايدة فكان يخشى الرئيس أن تنضم إلى الاتحاد الجنوبي فتزيدهم قوة وعزما ولن تكون تلك القوة في الوقت نفسه إلا خسراناً لأهل الشمال . . .

ثم هناك موقف أوربا من هذا النزاع . . . وهو أمر له خطره يحسب الرئيس له ألف حساب ، وإن كان سيوارد لا يرى له أول الأمر ما يراه الرئيس من خطر .

* * *

ولم يترك الناس رئيسهم يعمل لقضيتهم الكبرى فحسب ، بل راح الكثيرون يطرقون بابه يرجونه ويسألونه إلحافاً ، فهذا ممن ساعدوا الحزب الجمهوري يطلب من طريق خفي أن يكافأ على خدماته . . . وذاك يطلب وظيفة يأكل من راتبه فيها . . . والموظفون في البيت الأبيض يعجبون من هذا الرئيس الذي لا يجعل فرقا كبيراً بين قاعة الحكم هناك وبين حجرة مكتبه في سبرنجفيلد . .

لقد جعل للناس يومين كل أسبوع يلقاهم فيهما جميعاً لا يوصد بابه في وجه أحد ، وإنه ليستمع إلى كل ذي حاجة، فأن استطاع أن يمد إليه يد المساعدة دون أن يجور بذلك على القانون لم يتردد أو يتأخر . وكثيراً ما كان يجعل الرحمة فوق العدل ، إذا رأى نفسه بين أن يعدل فيقسو أو يرحم فيميل بعض الميل . . . ولكنه في ذلك لا يسيء إلى الخلق أو يتهاون في قاعدة جوهرية وحاشاه أن يفعل هذا أو ما هو دونه . . .

ولن يضيق صدره بذوى الحاجات لديه ، مع أنهم كانوا يلقونه على السلم ، ويقفون أمام غرفته صفوفاً خلف صفوف، بل كثيراً ما كانوا يستوقفونه في الطريق ويزحمونه . . . ولكنه من الكاظمين الغيظ . . ولن يستطيع قلبه الكبير أن ينهر السائل فيزيده بؤساً على بؤسه ، وهو الذي عرف اليتم منذ حداثته وذاق الشقاء ألواناً . . .

على أنه مهما بلغ من رحمته وبره بالمساكين ، يعرف أساليب الماكرين ، فلا ينخدع بما يراه من ادعاءاتهم فيصرفهم بالحسنى وإلا فبشيء من الشدة يشبه التأنيب ويراد به الزجر . . . دخل عليه رجل كسرت ساقه يسأله عملا إذ قد فقد رجله في الحرب ، فسأله الرئيس أيحمل أية شهادة أو دليلا على صدق دعواه ، ولكن الرجل لا يحمل شيئاً، فصاح به الرئيس قائلا : «ماذا؟ ليس لديك أي أوراق أو أي شهادات أو أي شيء يرينا كيف فقدت رجلك . . . فليت شعرى كيف أتبين أنك لم تفقدها في فخ وقعت فيه وقد سطوت على بستان غيرك . . . »

ويعجب القائمون على الحكومة كيف يطيق الرئيس وقد ملأت وقته الأحداث الجسام أن يلقى هؤلاء الناس ويستمع إلى مثل هذه الأمور الصغيرة وكان جديرا به أن يكلها إلى غيره ... ولكن أليس هو من الناس ؟ أليس هو خادم الجميع قبل أن يكون رئيس الجميع ؟ وهل يغير المنصب ما فطرت عليه الأنفس الكريمة من كريم الخصال ؟ ...

ها هو ذا ابراهام النجار تراه في البيت الأبيض ولم يزل هو هو، وداعة في قوة ، وتواضع في عزة ، ورقة في وقار ... ومن وراء ذلك قلب تسع رحمته شكوى الناس جميعا ، قلب لا يهنأ ولا يفرح إلا إذا صنع المعروف وأدلى الجميل فأفرح القلوب وأدخل عليها المسرة .

وما كان أعظم الرئيس وأجل خلقه حين يلتقي في الطريق إلى غرفته أحد سارقيه ممن لاقاهم قبلُ في مضطرب الحياة ، فيقف يضاحك وإياه ويده على كتفه ويسأل عن أمره وأمر أسرته .. ولقد يأخذه معه إلى قاعة الرياسة فيذكر له الأيام الماضيـة حتى ما يشعر الرجل أنه بين يدي رئيس الولايات المتحدة

ثم ما كان أعظم الرئيس حين كان الفقراء يستوقفونه في الطريق فيقف ليستمع إليهم وليكلمهم كأنه أحدهم، فلا ترفع ولا كبرياء. ولئن يستنكف الرئيس أن يطيل الحديث أحيانا علّه يستطيع أن يكفكف بكلامه شيئاً من دموعهم ويخفف بالعطف عليهم بعض آلامهم ... ولئن كانت له حيلة إلى إجابتهم إلى ما سألوا فما هو عن ذلك بضنين

ولقد كان ينكر عليه مسلكه هذا بعض موظفي البيت الأبيض .. ولكنهم حين كانوا يزعمون أنه لا يليق ذلك بمن كان في مثل مركزه كان يجيب عنهم أنه لا مسلك غيره لمن كان له مثل قلبه . على أنهم لم يلبثوا أن أكبروا الرئيس وأعجبوا بخلاله ، وأصبحوا لا يرون أي مأخذ عليه ، وأصبح من المناظر المألوفة عنـدهم أن يدخل أحدهم ببطاقة للرئيس فيراه ينهض بنفسه إلى خارج الحجرة يلقى مرسلها مرحبا ضاحكا ... أو أن يروه يأتي بنفســه إلى الحاجب فينهره حين يسمعه يمنع طالبي الدخول عليه ...

أما الوزراء وكبار الموظفين وقواد الجيش فقد اعتادوا أن يروا الرئيس يسعى إليهم أحياناً بدل أن يدعوهم إليه .. وكثيراً ما كان يلتفت الواحد منهم فاذا حاجبه مقبل يعلن إليه أن الرئيس على السلم أو في طريقه إليه

ويدخل الرئيس فيجلس إلى مرؤوسه يستفهمه عما يريد وينصت إليه ؛ فان كان مرؤوسه في أمر فني كلام الاخصائي ، لا يستنكف الرئيس أن يستوضحه وكأنه منه التلميذ حيال أستاذه ؛ ويعجب المرؤوسون من هذا الرجل الذي لا يدعي أبداً العلم في أمر يجهله ، والذي يفهم ما يُبَيَّنُ له في فطنة وسرعة

***

ماجت وشنجطون بالمتطوعين حتى أصبحت المدينة معسكراً عظيما ، ولكن الرئيس يعوزه القواد ... وإنه ليطيل التفكير فيمن عساهم أن يصلحوا للقيادة في هذا النضال الهائل .. إن على رأس القوات الآن القائد سكوت ولكنه شيخ كبير ناهز الخامسة والسبعين ؛ والموقف يتطلب قائداً فتياً يبث من روحه في قلوب جنده ويمشي بهم إلى النصر ... ألا ليت القائد لي لم يرفض ما عرض عليه ، ولكن بئس ما فعل لي فلقد انضم إلى الثائرين وأصبح من أكبر قوادهم

فكر الرئيس وتدبر .. وأخذ يقلب الأمر على وجوهه وإن الرأي العام من حوله يزيد موقفه صعوبة ، فلكل حزب رأي ، ولكل جماعة فكرة ، ولحكام الولايات آراؤهم وإلا توقفوا عن إرسال الجنود ... والرئيس يتمنى أن يهيئ له النـاس بسكوتهم الجو ليختار قواده على أساس الكفاية ولكنهم لا يفعلون ، وهو لا يستطيع أن يغضب تلك الجهات في هذه الظروف القاسية ، بينما هو في الوقت نفسه لا يستطيع أن يرضيهم جميعاً

ويستعرض الرئيس الموقف الحربي ، فيجد القائد ماكيلان قد وفق في أعماله في فرجينيا الغربية ، ويسمع الثنـاء عليه من جهات كثيرة حتى لقد سماه نابليون الجديد ... ولذلك يدعوه الرئيس ويعينه قائداً عاماً للقوات في فرجينيا

وتتجه الأنظار كلها إلى القائد ماكيلان فهو شاب في الرابعة والثلاثين ؛ وفيه كثير من الصفات التي تحمل الناس على محبته ؛ فله حسن السمت وهيبة الطلعة وروح الشباب ؛ وله من صغر جرمه ما يشبه به نابليون ، وكذلك له من صفات نابليون بريق عينيه ومضاء عزيمته وتوقد حماسته

وسرعان ما تعظم شهرته حتى يجرى اسمه على الألسن جميعاً ؛ وكم له في الحياة من أشباه ممن قامت شهرتهم على أوهام الجماعات ولكن لعل الأيام تثبت جدارته ، فان الأعين والقلوب متفقة على الاعجاب به

على أن للشباب نزعاته ونزواته ، فهذا القائد يدل بجاهه من أول الأمر ، حتى ليعد نفسه الرجل الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ البلاد مما هي فيه ... ولقد شايعه في هذا الزعم كثير من الناس ... حتى رجال مجلس الوزراء قد عظمت ثقتهم فيه إلى حد أنهم كانوا يميلون إلى جانبه أحياناً إذا هو رأى ما لا يرى الرئيس والرئيس يتذرع بالصبر ويتغاضى عن ذلك في سبيل ما يعقده من الآمال على ما عساه أن يأتي به ذلك الشاب

وأخذ القائد الشاب يدرب مائتي ألف رجل على حدود

فرجينيا، وقام بذلك العمل على خير ما يرجى، ولكنه أطال التدريب وأطاله حتى تسرب الملل إلى الرأى العام فضاق بما يفعل فان الناس كانوا يستعملون الزحف؛ وكذلك ضاق الرئيس ذرعا، ولكن ماكليلان يعد الناس أنه يستعد لحركة عظمى سوف تطفئ نار الثورة

وشاع فى الناس اسم قائد آخر هو القائد فريمونت، ولقد كانت له مواقف محمودة فى الجهات الغربية يومئذ، وكان هذا الرجل من قبل أول مرشحى الحزب الجمهورى للرياسة فله بذلك فى الناس منزلته وخطره، وله فى قلوب الساسة وأولى الرأى نفوذ كبير

ولن يقل فريمونت عن ماكليلان اعتزازا وترفعا، فهو يحيط نفسه بفرقة من الحرس، ويرقى بعض الجند دون أن يرجع إلى الرئيس وهو بحكم مركزه القائد الأعلى لقوات الدولة . . . وكذلك يتباطأ فريمونت فى الرد على البريد القادم من العاصمة ... ولن يقف الأمر عند ذلك، بل تأتى الأنباء أن فريمونت ينوى إقامة اتحاد ثالث فى الجهات الشمالية الغربية

ولكن الرئيس لا يصدق هذه الأنباء فهو واثق قبل كل شيء من إخلاص الرجلين لقضية الاتحاد، وإلا لما كان ليضعهما حيث وضع مهما يكن من الأمر

وأحاط فريمونت نفسه أول الأمر بجو من السكوت، ولكنه ما لبث أن أذاع قرارا خطيرا اهتز له الرئيس وتبرم منه وضاق به، وذلك أن القائد أنذر أهل مسورى فى آخر شهر أغسطس عام ١٨٦١، أى بعد قيام الحرب بنحو أربعة أشهر أنه ينفذ قوانين الحرب فى الولاية، ولذلك فهو يحدد منطقة يجعلها محرمة، يعدم كل من يحمل السلاح فيها ضد حكومة الاتحاد وكذلك يعلن القائد أن كل من تحدثه نفسه بالثورة من أهل الولاية جميعا يكون جزاؤه مصادرة أملاكه وتحرير عبيده إن كان له عبيد ...

ارتاع لنكولن للقرار وتربد وجهه وأوشك أن ينفد صبره، وكان يلاحظ من يرونه غداة هذا القرار علامات الهم الشديد على محياه، ولكنهم كانوا كذلك يلمحون أمارات العزم والصلابة ودلائل الحزم والثبات

انزعج الرئيس لأثارة مسألة العبيد فى هذه الآونة، فلقد جعل مبدأ الحرب من أول الأمر المحافظة على الاتحاد، حتى تكون قضية دستورية لا عيب فيها، وبذلك تجد سبيلها إلى القلوب وتستنهض الهمم بما تثيره عدالتها من حماسة ولا تدع سبيلا لأحد أن يتهم أهل الشمال بأنهم أوقدوا النار من أجل أغراضهم وعواطفهم فى مسألة العبيد . . . وكذلك كان يتحاشى الرئيس إثارة هذه المسألة حتى لا تثور الولايات المحايدة وتنضم إلى أهل الجنوب، ويفقد الرئيس كل أمل فى ضمها إلى جانبه، ومن تلك الولايات مسورى نفسها فقد كان فيها كثير ممن يقتنون العبيد، وأهم منها وأعظم خطرا كانت ولاية كنتوكى التى ينتمى إليها الرئيس منذ نشأته، فلقد بذل الرئيس كل ما فى وسعه للمحافظة على مودة أهلها لتنضم إلى جانبه أو لتبقى على الأقل محايدة، فلموقعها الجغرافى فى الحرب شأن أى شأن

ولكن هذه السياسة الرشيدة العاقلة التى جرى عليها الرئيس ما لبث أن طاح بها ذلك القرار الطائش؛ فسرعان ما هاجت الخواطر فى تلك الولايات المحايدة، وسرعان ما جزع كثير ممن يسلمون بنظام العبيد من أهل الولايات الشمالية

وعظم خطر هذا القرار حتى أصبح نقطة تحول جديد فى الموقف كله . . . ونظر الرئيس فاذا هو تلقاء عاصفة شديدة من الرأى العام، فأن دعاة التحرير وأعداء نظام العبيد ما لبثوا أن هتفوا بالقائد الجريء الحازم، وراحوا يمتدحون خطته بقدر ما يعيبون على الرئيس تردده وخوره

وانطلقت الصحف تدعو الرئيس أن يقر فريمونت وأن يحذو حذوه فيعلن قرارا عاما ينطبق على الولايات الثائرة جميعا. ولما وجدوا منه الإعراض والغضب، عصفت برؤوسهم النزوات وراح بعضهم يدعو إلى إرغام الرئيس على الاعتزال ووضع فريمونت فى مكانه

ويتطلع الرئيس بعينيه الواسعتين فاذا بوادر الفرقة والتنازع تكاد تقضى على قضية البلاد، وإذا العاصفة تشتد وتشتد؛ ولكنه الرجل الذى لم يخلق له الفزع؛ وهل يذكر أنه خاف العاصفة يوما ما حينما كانت تنطلق عاتية مدوية فتهتز لها أرجاء الغابة، وهو واقف منها موقف المتفرج؛ ذلك الوقف الذى ما كان يطيقه صبى فى مثل سنه إلا إذا كان مثله من بنى الأحراج الذين ألفوا ملاقاة العواصف؟ . . .

« يتبع » الخفيف

خاطر

رفائيـــــل

الدنيا ذات الطهر والسحر

«مهداة إلى لجنة إنهاض اللغة العربية»

للآنسة الفاضلة ف . ن

كنت أود لو أن الصديقة التى قضيت معها ساعات القيلولة من كل يوم طيلة أيام الربيع الماضى ، تحكى هذا الذى أريد أن أحكيه عنها وعني ، فلقد كانت حافلة بموضوع الحديث ، مشوقة للبحث فيه ، هيّابة لذكراه ، إذا ما أقدمت على طرقه فكأنها تقدم على طرق حديث من عند الله ... وما كانت لتنساه ، ولم يكن لها مجال لتنساه وأنا معها ليلَ نهار !

— رفائيل أيضاً ؟ .

— أيضاً رفائيل ! .

هكذا كانت تبتدرنى كلما لقيتنى فى فناء المدرسة أو فى ناحية من نواحيها ، متأبطةً كتاب رفائيل ، وهكذا كنت أرد عليها وأردف بابتسامة تفهم معناها الذى فى قلبي .. ثم أسير عنها ، فاذا بها تتبعنى . كأنى أحمل قوة من السحر تجذبها من غير أن تدرى ! وأدرك ناحية هادئة اعتدتها فأحتل مكاناً لي فيها كفلته خالياً كثرة جلوسى هناك ، فاذا بها قربي .. وأتجاهل ما تريد فأصمت عنهـا وهى ترتقب حركة منى ، حتى إذا وثقت من إصرارى على الصمت صاحت بى وقد نفد صبرها « افتحي ! » فأبتسم .. وأفتح . . . ونقرأ الكتاب الذى أعجز عن عدّ المرات التى قرأناه فيها وكأننا نقرأ لأول مرة . وتستوقفنا المعانى الرائعة فتفلت من صدرينا آهات خافتة هي التأثر ، وهى الإعجاب، وهي صدى الروعة فى النفس وفعلها فى الشعور ! ونغرق فى السحر الذى يفيض من قلبينا حتى يغمرنا ، ونذهب فى سكرة لذيذة لا نصحو منها إلا على صوت الجرس ، معلناً انتهاء ساعات الفراغ ، فينـال من لذاتنا ما ينال ونحن فى حنق عليه !

هكذا بدأت أيام إعجابها الأولى بالكتاب ، ثم سارت — هذه الأيام — فى طليعة أيام بعدها ، حفرت لها فى قلبينا أثراً بعيداً لن تمحوه الحوادث مهما جارت ! . . تلك كانت ساعات القيلولة فى الربيع الماضى ، عند ما نجد أثر النعاس اللذيذ فى كل جفن ، على الرغم من توسط الشمس قبة السماء [illegible] ساطعة ؛ وعند ما نلمس روح الهدوء فى كل حى ، كأن الكل شعراء يحلمون !

هكذا كان تحفّلها بالكتاب [illegible] وأنا أطلعها عليه للمرات الأوَل . على أنها لا تفهم العربية الفصحى جيداً ، فكنت أتناول عميق المعانى بالافصاح والطارح بهـا إلى سطح معرفتها باللغة — وفى هذا ما فيه من تشويه — فلا تمالك نفسها من أن تقول والدهشة تملأ فاها « أهذا السحر فى العربيـة ؟ » فأجيب « بل وفى قلم الزيات أيضاً ! »

ما كانت تدرى أن فى العربية سحراً ، وقد شبت جاهلة بها . وهى وإن كانت عربية فيها دم فارسى إلا أنها تجيد الفرنسية قبل كل لغة (هكذا شاءت إرادة المدارس الفرنسية ، وهكذا خضعت حكومات البلاد العربية لهذه الارادة القاسية !)

لقد عرفتها قبل أن أعرّفها (برفائيل) بثلاثة أعوام، أطلعتها فيها على كثير مما جادت به القرائح والأقلام العربية فأعجبت بالكل وذهلت برفائيل ! ولم يكن هذا الاعجاب الطـاغى ، أو هذا (الذهول) ليغمط حق سائر الكتب التى اطلعت عليها . فلكل طريقته وأسلوبه وروائع معانيه ، إنما فى (رفائيل) روح لا توجد فى سواه، روح عالية سماوية ليس فيها من نزعات الأرض واحدة!

— ماذا ؟ أصديق جديد ؟

قالت عند ما رأت (رفائيل) فى يدى لأول مرة . . كلمتان اعتادت أن تقولها كلما رأت فى يدى كتاباً جديداً . .

قلت : لا ، بل معلم مجيد ، بل عالم سماوى ليس فيه خبث ولا دنس . إنه (رفائيل) روح من السماء كما كانت فى السماء . .

* * *

كنت أود لو أن الصديقة التى قضيت معها [illegible] الخارقة فى الاعجاب ، المتسامية بروحينا عن عالم وضيع إلى دنيا ليس فيها حياة إلاّ الطهر والسحر . . كنت أود لو أنها تحكى هذا الذى حكيته ، إلاّ أنها بعيدة . . وإلاّ أنّ هذا الخاطر هاج فىّ ولا أظنه هاج فيها، وذلك لنظرى إلى الكتاب لا كنظرتها فقط، إنما هناك عوامل أخرى ، تخلق فىّ نظرةً أخرى ، تقيم الخشوع فى نفسى كلما ذكرت شيئاً من الكتاب أو قرأت فيه شيئاً . .

أنا عند ما أقرأ مأساة رائعة أبكي ويعتصر الألم قلبي فألازمه أياماً . . وعند ما أقرأ صفحة في البطولة ، تهيج في نفسي عوامل الشعور بالقوة في الروح وفي الجسم وفي الأماني ، وفي كياني كله . ولكني عند ما أقرأ (رفائيل) أحسُّ عالماً جديداً في داخلي ، وعالماً جديداً حوالي !

* * *

سواء على أوثق القراء بما أقول أم لم يثقوا ، فحسبي أني أصف خاطراً في نفسي أهاجته خواطر في نفوس الغير . . سواء على أوثق القراء من أني لم ألقَ تهذيباً في البيت أو في المدرسة من أبي أو من مدرساتي ، أو من أية ناحية من نواحي الحياة بقدر ما ألقى في صفحة . . بل في بضع جمل من رفائيل !. سواء أوثق القراء أم أبوا فأني أقول هذا للحقيقة لا للدعاية — وهل يحتاج مثل رفائيل للدعاية ؟

كل ما في نفسي من غرائزها البشرية الرديئة ، كل ما فيّ من أثرة وحسد وبغضاء ونزوات دنيئة ، كلها تموت وتتلاشى إذا ماقرأت في رفائيل صفحة . . وأعود لا أرى في الدنيا وفي قلبي إلا المعاني الجميلة ، الدنيا الطاهرة التي في رفائيل . . وأعود لا أرى الحبّ إلا عذرياً نقياً كحب رفائيل . . ولا أرى الصداقة إلا بريئة من كل شائبة كصداقته . ولا أرى العفة في كل عاطفة إلا عفته ؛ ولا الدنيا الصادقة إلا دنياه ؛ ولا الحياة الزاخرة بوجدان حي إلا حياته . ولا أرى المثل الصادق للتهذيب الذي يدخل النفس من حيث لاتشعر فينقيها ويجلو محاسن ربها فيها ، ويهيئها لعالم كل مادته ومعناه وجدان طاهر وعاطفة بلا شائبة ، ذلك التهذيب اللين الجارف في غير قسوة ولا تشديد ، إلا في كلمات يلقيها رفائيل في الحس فتمهد الدرب ، في غير صعوبة ، إلى أعماقه .. وفي جمل رائعة يصف فيها حبه وحياته وآلام قلبه فتحس جلده على تحمل آلام اليأس الذي ما كان ليراه يأساً . . وصبره على حرمانه الذي يجد فيه كل المتع ، ويلقى فيه من السعادة مايحمله على الهزء بأسباب لذاذات الناس أجمعين ، لذاذات فانية تشمئز من أصحابها . .

كذا يجب أن يكتب الكتاب ، وكذا يجب أن يقولوا للناس كباراً وناشئة .. إذ ذاك يكونون قد عرفوا عظم مسؤولياتهم تجاه الجمهور القارىء . وإذ ذاك يكف النقاد عن صيحتهم : « اتقوا الله فيما تكتبون فان عليكم تبعة الأثر الذي تتركونه في النفوس .. »

كذلك فليكتب الكتاب ، وإذ ذاك يقال عنهم إنهم مخلصون جد مخلصين ، وإذ ذاك يكونون أصحاب رسالات في الاصلاح والتهذيب لكل جيل وكل جنس وكل روح :

هذا كتاب للتهذيب !. لعل صاحبه يوم كتبه لم يقصد به إلى هذا، إنما كذلك كانت نفسه، وقد أراد بالتعبير عنها ووصف ما خالجها فجاءت هذه الصفحات الرائعة من حياة الوجدان والقلب . وإنما قصد به إلى هذا مترجم تلك الصفحات وناقلها إلى أمته أصدق نقل في أروع أسلوب وأعف حديث .. وأي بلاغة في القول المهذب أعظم من قول رفائيل في معنى «كان حبنا ينمو كل يوم دون أن تمسه يد النقصان أو الفناء، لأننا كنا لا نقطف ثماره بل ندعها حية يانعة تنمو وتثمر !. » وأي معنى أروع في تهذيب العاطفة من غضبة الشاعر على حبيبته يوم أظهرت له تحسرها على شبابه وأيامه تنطوي بهذا الحرمان في حبها ، تلك الغضبة التي تشتد وتمتد ، حتى يترك القارئ وفي نفسه أنه لا يذوق لذة فانيـة من حب مهما تيسر له ذلك ، لأن الحب هو ذلك الذي في قلب رفائيل وحبيبته ليس إلا .

* * *

هذا خاطر في النفس أهاجته خواطر في نفوس الناس . . وإن في النفس من رفائيل لعوالم ، وإن أثر الصفحة منه في الروح كتب . . وأثر الجملة أحلام ، وأثر الكتاب تهذيب وصقل وبلاغة قول ، وسلامة منطق !. ولا يفكر في ترجمة رفائيل إلا ذو نفس كنفس رفائيل ! فهل يشكر الجمهور على هذه الخدمة الصادقة ، أم يشكر ربها الذي براها ؟!

وبعد فان في صدر الساعات الدافئة من الربيع الذي مات ، أثراً من آهات خافتة كانت صدى الروعة في النفس، وعمل (رفائيل) في الحس ؛ حملتها نفس (الربيع الذي مات) إلى جنة الخلد . . إلى رفائيل !. .

« البصرة » الآنسة ع . م

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٤ —

توجيه الاشتقاق ، الصفات فيه ، سبيل العرب في الوضع

وإنى سائق الآن هذه الألفاظ برمة ، فمعيدها لفظاً بعد لفظ لبيان وجه الاشتقاق ، وعلة الوضع ، وتقدير العلاقة بين اللفظ الموضوع وبين مدلول الاسم الأعجمى

والألفاظ هي : السرطراط ، السريط ، المرطراط ، اللمص ، اللواص ، الملوّص ، الرعديد . المزعزع ، الزليل ، اللقاء ، المزعفر ، الصفرّق

— ٧ —

ا — مادة سرط تصف الابتلاع وسهولته ، تقول : سرطه وتسرطه واسترطه : ابتلعه . وانسرط في حلقه سار سيراً سهلا ثم اشتق منها : المسرَط : للبلعوم ، والسرواط : للأكول ، والسرطة : للسريع الاستراطر

وقد صيغ من هذه المادة : اسمان للون من الأطعمة ، الأول السريطاء ، والآخر السرّيطي ، لنوع من الحساء

فلما تعورف الفالوذج ، اشتق العرب من هذه المادة : اسمين له ، الأول : السرطراط ، بكسر السين والراء ، ويفتحان ، قال السيد مرتضى : « كررت الراء والطاء تبليغاً في وصفه ، واستلذاذ آكله إياه إذا سرطه وأساغه في حلقه » وقد جمعه الاسكافى على سرارط[1] . والثانى الاسم : السريط ، قال الفيروزابادى والشيرازى : هو كزُبّير ، وقال صاحب التاج : الصواب بتشديد الراء المفتوحة

والاشتقاق كما ترى ملحوظ فيه انسياغ الفالوذج ، وسرعة ابتلاعه !

ب — مادة مرط تصف الاسقاط والاسراع والأخذ الخاطف تقول : مرط : أسرع ، وأمرطت النخلة : سقط بسرها ، وأمرطت الناقة : أسرعت وتقدمت . وتمرط الشمر : تساقط ، وامترطه : اختلسه

وقد اشتق من هذه المادة اسم لشاة ، وهو المريطا ، لأن الطعام يسرع فيها ، ويتساقط إليها . ثم صاغوا من المادة اسماً للفالوذج وهو : المرطراط بكسر الراء والميم على زنة السرطراط ، فوجه الاشتقاق هو : ليان الفالوذج وطواعيته لامتراطه والاسراع فيه

حـ — تصف مادة اللمص مما تصف : التناول بالاصبع . تقول : لمص الشيء : إذا أخذه بطرف إصبعه . قال ابن دريد : لمصت الشيء : إذا لطعته باصبعك ولحسته

وقد صيغ من هذه المادة اسم للعسل ، واسم لشيء كان يأكله الصبيان ، ذلك الاسم المشترك هو : اللمص ؛ بفتح فاسكان فأخذت هذه الصيغة للفالوذج . وعلة الأخذ واضحة ، وهى أن الفالوذج كان يتناول بالأصابع ، ففي هذا الوضع روعيت طريقة التناول لهذه الحلواء

د — تدل مادة لوص على الحيدان والحركة ، تقول : لاص حاد . ولاوص : نظر نظرة الخاتل يمنة ويسرة ، وأليص : أرعش وما به لويص ، أى قوة وحركة . وتلوص : تلوّى وتقلب

وقد وضع العرب من هذه المادة اسما للعسل . فقالوا : اللواص . ثم قالوا : لوّص الرجل : أكل العسل . ثم كان منهم بعد ذلك أن أشركوا في هذا الاسم : الفالوذج . فسموه : اللواص وأضافوا إليه اسماً ثانياً من المادة نفسها ، هو الملوص ، وهو اسم مفعول من الفعل : لوّص الذى كان مستعملا في معنى تناول العسل ، فالتلويص في الفالوذج كالتلويص في الشهد

والوضع في هذه المادة ملحوظ فيه هيئة الفالوذج ، فهو يتلوى في الصحاف ويتقلب ، ويظل في إرعاش وحَيَدان ، وهذه الصفة أوضح مايرى من هذه الحلواء ، وأبدأ ما يبدهك من شماتها وصفاتها

هـ — مادتا : رعد وزعزع ظاهرتان في دلالتهما على الهيجان والتذبذب تقول من الأولى : ارتعد : اضطرب ، وسمى الجبان : رعديدا ، لأنه يشتد به الفرق ، فتهتز نفسه حذر المخاوف ، وتقول من الثانية : تزعزع الشيء ، تحرك تحركا شديداً .

وكان بديهياً أن يلحظ العرب في الفالوذج أنه دائب الارتجاف

(١) مبادىء اللغة (٧٣)

سريع التحرك ، يترعرع ويتمايل ، فيرتضوا له الكلمتين : الرعديد والمزعزع . وقد سبق فى طلائع هذا البحث ذكر جواب أعرابى سئل فى الفالوذج ، فوصفه بالارتماد ، وكذلك مضى وصف الخوارزمى له بالترجرج

و — يتحير فى صيغ مادة زلل معنى الخفة والسرعة والانزلاق ، تقول : استزله : زلّقه ، وزلّ هو : زلق وسقط . والرجل الأزل : السريع . ويوصف الماء بأنه زُلال إذا كان عذباً صافياً يمر سريعاً فى الحلق

فاجتلب العرب من هذه المادة لفظاً للفالوذج . هو الزليل ، إذ كان خفيفاً على اليد حمله ، سريعاً فى الفم انزلاقه . وفى مبادئ اللغة أنه يجمع على : أزِلة . ويستفاد من إثبات صاحب المبادئ لهذا الجمع أنه مسموع فوق أنه مقيس

ز — جاءت نوبة كلمة : اللُقاء ، وتلك لم أعثر عليها فى معجم ولا أسفرَت لي فى أوراق فقه اللغة . وإنما جرَت فى كلام لأبى العلاء المعرى ، قال[1] : « العاجلة ، كلبيد الراجلة ، يُلقى لتقيها لقاء ، ويطعم فاجرُها مُرّ المقرات ... » ثم شرح ذلك فقال : « اللبيد : جوالق صغير ، أو خرج . والراجلة : الكبش الذى يحمل عليه الراعى خُرجه . واللقاء : الفالوذج » ولقد فتشت عن هذا اللفظ كل مفتش ، فيما بين يدىّ من المراجع ، حتى ضاق به الصدر ، فكأن أبا العلاء استخرجه من ملاعب الجن . وما أظن الظنون بشيخ المعرة ، فانى لأعلمه : صاحب الغريب ، وهدهد الشوارد . فليس لى إلا أن أسترِيب بحروف هذا اللفظ ، وأن أقدّر أن تحريفاً عدل به عن كنهه . وكان بودى أن أجلو هنا ما دار به الخاطر ذيما عساه يكون الأصل ، ولكننى أوثر أن أحجم حتى أسمع كلمة الأستاذ الفاضل الذى بعث الفصول والغايات من مرقدها ، فلا بد أن يكون عنده من هذا اللفظ علم ، ولعله متفضل فمجيب . وسيتبع إحجامى عن الكلام فى الأصل ، تأخيرى النظر فى الاشتقاق . إذ كان هذا متصلاً بذلك تعلق النتائج بالمقدمات

(١) الفصول والغايات (الأول ١١٩)

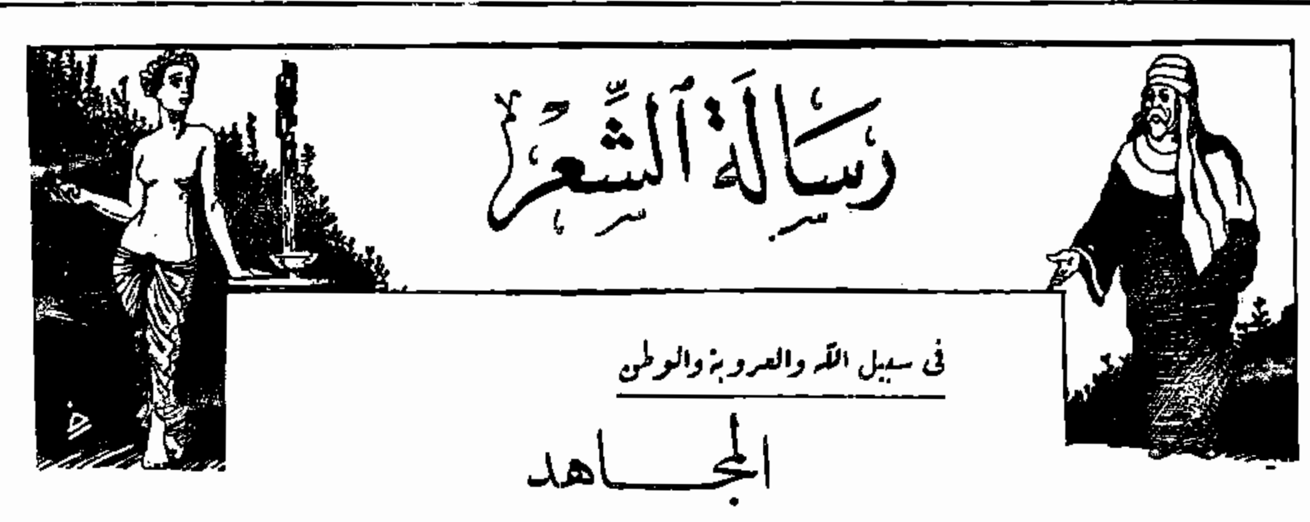
ح — الزعفران نبات أصفر الزهر ، أحمر الصبغ ، وزعفره : صبغه بالزعفران . ولا أحق : أسموا الفالوذج مزعفراً لأنه مصبوغ به ، أم لأنه مجعول فيه ، أم لأنه على لونه ، فالأمر على التشبيه ؛ أم لكل هاته الأشياء ؟ ؟ وإن من سنة العرب فى التسمية أن يوصف الشئ بالشئ لشبه اللون ، فقد وضعوا للأسد اسم الورد ، لأنه ورد اللون . بل إنهم سموه : المزعفر ، فقالوا : المزعفر : الأسد الورد لأنه أحمر . وقد أنهينا فيما سبق قول بعضهم «فالوذجة مزعفرة» ورجحنا ثمة أن تكون الزعفرة فيه الصبغ والتطييب ، وليس الكلام على التشبيه والمشاكهة

ط — أجمع فقهاء الألفاظ على ان الصُّفرُق اسم للفالوذج ، ومثل به سيبويه فى الكتاب[1] ونقله الصاغانى عن كتاب الأبنية ، وقال فى اللسان : هو الصُّفروق . ولم يثبت بناء الصفرُق . وقد انتقب وجه الاشتقاق لهذه الكلمة ، فيما لدىّ من المظانّ . فالكلمة فى مادتها يتيمة ، إن شئت قلت : درة لهامن استئحادها عظمة وزهو ، وإن شئت قلت : شريدة لا يؤاخيها شئ ، ولا تجد لها مُنتَمى . وأنا حابس القلم الساعة عن اقتحام الكتابة فى زائد حروفها ، ومرجعها إلى الصفرة فى اشتقاقها ، والوجه فى ذلك كله ، فلذلك مجالة أخرى[2]

« للبحث صلة » محمد شوقى أمين

(١) المخصص (الخامس ٢٠)

(٢) ما سبق من النصوص اللغوية فى المواد التى صيغت منها أسماء الفالوذج ، مردد فى المعجمات المتداولة ، وليس هو مما يعتبر رأياً خاصاً تجب الاشارة إلى مرجعه . ولذلك لم نعلق عليه بذكر أسماء الكتب إلا ما كان منه فى حكم الرأى الخاص على أننا على الجملة اعتمدنا فى استظهارها على جمهرة ابن دريد ، ولسان ابن منظور ، ومعيار الشيرازى ، وتهذيب ابن السكيت ، ونهاية ابن الأثير



في سبيل الله والعروبة والوطن

المجاهد

للأديب السيد جورج سلستي

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

أَلحبُّ والأَمَلُ الوضيء كلاهما صَبَوَا إليه معاً فأَعرضَ عنهما
وهفَتْ لَهُ الدنيا الطروبُ فمافها وتَملّقتْهُ فَصدَّها متبرّما
وَسَعى الثَراء إِلَيهِ يخطبُ ودّهُ فأبى وآثَرَ أنْ يظلَّ الْمُعدِمَا
والمرءُ يهزأُ بالنُضارِ ويزدرى متَعَ الحياةِ إذا دعا داعى الحمى!

* * *

هجرَ الأحبّةَ والمنى مُتَحَدِّيًا جُهْمَ النَوائبِ ضاحكاً متبسّما
بَطَلٌ بدا فيه الوفاء ممثّلاً وبدا الإباء بشخصه متجسّما
بَطَلٌ يَمُورُ العَزْمُ فى قسماته أبداً يُرَى ثَبْتَ الجَنانِ غَشَمْشَمَا
تَتَساءلُ الآجامُ إمَّا يجتمعْ بالليثِ أيُّهما الغَضَنْفَرُ منهما
بَطَلٌ مَشى مُستبسِلاً ليذودَ عن وَطَنٍ يَعزُّ عليه أنْ يَتَقَسَّمَا
إنّى أرَاهُ وقد ذكا لَهَبُ الوغى وتَسَعَّرَتْ نيرانُها متحدّما
مُتَوَثّبًا أبداً على أعدائه شَأنَ الأبىّ تَدَفُّقاً وَتَهَجُّمَا
يُصْلى فوارِسَهُمْ وهم يُصْلونَهُ نارًا أشدَّ من الجحيمِ تَضرُّمَا
فاذاهُمُ انهزموا فذاك، وإن قضى صلّى الإلهُ على ثَرَاهُ وَسَلّمَا

* * *

يا سائلى عَمّن قضى مُسْتَشْهِدًا روحى فداؤك عارفاً مُتَعَلِّمَا
أتقولُ مَنْ آلُ الشهيد وكلنا عَرَبٌ نَمانا للمعالى مَنْ نَما ؟
للعُرْبِ نُنْسَبُ حين ينتسبُ الورى ولسانُنا العَرَبيُّ أشرَفُ منتمى
والعُرْبُ مهما تَخْتَلِفْ أهواؤهم أهْلٌ يؤاخى العيسوىُّ المُسْلِمَا
إنّا تُوَحِّدُنا العُروبةُ أينما كنّا وتجمعنا المكارمُ حيثما
والفذُّ بين القوم ملكُ بلاده إنْ عالماً أو فارساً أوْ مُلْهَمَا
والرُزْء فيه فجيعةٌ وطنيّةٌ عظمى تئنُّ لها البلادُ تألّمَا

* * *

يا مَنْ ينامُ الليلَ مِلء جفونه ويعيشُ مَوْفُورَ الرخاء مُنَعَّمَا
أهْلوكَ فى مسرى النبىّ تجشّموا مالا يطيقُ الصَخْرُ أنْ يتجشّما
وتحمّلوا ما لو حَمَلْتَ أقلَّهُ لَغَدَوْتَ أشْبَهَ بالخيالِ أوِ الوما
والنومُ أبعدُ ما يكونُ عَنِ العيُو نِ وقلّما تلقى هنالك نُوَّما
فكأنّما نسى الكرى أجفانَهم مِنْ طُولِ ما سَهِرُوا الليالى قُوَّما
وَسَلَتْ مضاجعَها الجوانبُ بعد ما أمسى الهناء على النفوسِ مُحرَّما
والحَرْبُ من حولِهِنِ مازالتْ مُؤَجَّ جَجَةً وما زالَ المنايا حُوَّما

فامددْ يدًا بيضاءَ تُسْعِفْ عاجزًا أو تأسُ مَكْلومًا وتُنْجِدْ أيّما
ولقد عرفتُكَ باذلاً متكرّما فأعِنْ بمالكَ مَوْطِنًا مترِدّما
هو مَوْطِنٌ غَمَرَ الأسى باحاتِه وغدا الشقاء على بَنيــه مُهَيْمِنا
قد كانَ مثل العُرْسِ بسّامَ الرؤى طَلْقًا تحوّله الأجانبُ مَأْتما
قَدْ باتَ يَنْطُفُ عَنْدَمًا بالأوصيا ءِ وكانَ حتى الأمسِ يَنْضَحُ بلسما
قد كانَ مِنْ أفْضَالِ رَبِّكَ جنّةَ الـ دنيا فصَيّرَهُ الدخيلُ جَهَنّما
إنّ الدخيلَ، وإنْ تألّهَ، مُجْرِمٌ متنكّرٌ فاحْذَرْ فُدِيتَ المُجْرِما
قالوا التمدّنُ عَنْ يَدَيْهِ فقلتُ لا كانَ التمدُّنُ مَنْ يَدَيْهِ مُتَمِّما
أينَ التمدّنُ عند مَنْ يَنْزو هوًى ويروغُ ثعلبــةً ويسعى أرقما
أمنَ التمدّنِ أنْ يُبَاعَ الدينُ بالـ دنيا وتُغْتَصَبُ الحقوقُ وتُهْضَما
وَيُحَلّ قَتْلُ الأبرياءِ وهَدْمُ دو رِ المُبْعَدينَ وَنَفْيُ أحرار الحمى؟
أمُعَيِّرى بالـــبَرْبَرِيّةِ إننى متأخّرٌ فاهنأْ وَكُنْ متقــدّما
إنى لأهوى البربريةَ إنْ يَكُ التـ مدينُ هَضْمَ الحقِّ أو سَفْكَ الدما
ولقد تركتُ لكَ الرقيَّ فَخَلِّني متسكّعاً بين الجهالة والعمى
فأنا امرؤٌ نزّهْتُ عن حَمَإِ الخنا نفسى وآبى أنْ أقارفَ مأثما

* * *

يا حارسَ الحرمَ الشريفَ وحاميًا مَهْدَ المسيحِ وأنتَ أشْأَمُ من حَمَى
المهدُ والحَرَمُ الشريف تململا ولو استطاعا من أسًى لتكلّما!
للبُطْلِ صولةُ ساعةٍ فإذا انقضتْ وتصرّمتْ ولّى الطغى وتصرّما
لا بدَّ إمّا عاجلاً أو آجـــلاً للحقِّ أنْ يعلو وأنْ يتسنّما
والظُّلْمُ أوْخَمُ مَرْتَعٍ فاحذرْ إذا كنتَ الحكيمَ المرتعَ المتوخما

* * *

أأخى الشهيد لقد قضَيْتَ مجاهدا ليعيشَ مَوْطِنُكَ الحبيبُ مُكَرّما
يهْنيكَ أنْ وَفّيْتَ قسْطَكَ للعلى وَرُزِقْتَ حيًّا عند ربّك فى السما

«بيروت» جورج سلستى

فى السماء

للأستاذ سيد قطب

أيقظت أبيل ما يُجِنُّ ضميرى وبعثت جوهر عنصرى المطمور
فإذا أنا الروح التى تسمو بها دنيا الحياة لأوجها المنظور
وإذا أنا النور الذى تجلو به تلك الحياة غياهب الديجور
وإذا أنا الشوق الذى يحدو لها فتَغِذُّ بين مسالك وصخور
وإذا أنا الشعر الذى تشدو به فى نشوة وتجيش بالتعبـــير
وإذا أنا الخير المحص والهدى والحب والنجوى خلال ضمير

* * *

فبأى معجزة كشفت ضمائرى وجلوت كل محجب مستور؟
وغدوت فىّ فضائلى ورويتها حتى أطلّت بالجنى المذخور؟
وجعلت من زاد الخلود مطامحى وجعلت أشواقى صلاة طهور؟
بالحب والحسن الوديع ونظرة بيضاء صافيــة تريح شعورى
وتُحيل أشواقي رضاء مخلّد راضٍ بخلد لم يُشَبْ بقصور
وتحيلنى روحاً ترِفّ على الورى كالعطف، أو كالحب، أو كالنور
فإليك تسبيحى وهمس سرائرى وإليك غاية غبطتى وسرورى

حلوان سيد قطب



رأى الأستاذ مارجليوث فى تيسير القواعد العربية

أذاع راديو لندن في الأسبوع الماضى الحلقة الثانية من سلسلة محاضرات كبار المستشرقين البريطانيين فى موضوع « ما الذى تعلمته من الناطقين بالضاد » وهى محاضرة الأستاذ مارجليوث

وقبل أن يتلو المذيع المحاضرة حيا الأستاذ مارجليوث المستمعين بكلمة قديرة ألقاها بلغة عربية فصيحة

وقسم الأستاذ مارجليوث محاضرته إلى قسمين الأول ما الذى تعلمه هو شخصيا من الناطقين بالضاد والثاني ما الذى تعلمه غيره من الأوربيين

ثم ذكر ألفاظا كثيرة من المصطلحات المستعملة فى اللغات الأوربية والمشتقة من أصل عربى أو جاءت إلى أوربا عن طريق العرب ، وقال إن أوربا مدينة لحضارة العربية بالشىء الكثير

وبحث فى أحوال اللغة العربية وقواعدها واتساعها وغناها وأشار إلى اقتراح بعضهم تسهيل قواعدها وأنحى باللائمة عليهم وقال إن ما يقترحونه لا يكون تيسيراً بل تعقيداً ويثقل حافظة الطالب بمجموعة جديدة من القواعد هو فى غنى عنها

وخطأ القائلين بأن الألفاظ العربية الشفاهية أصح وأوضح من المكتوبة ، ثم قال إنه لا تأثير للتعصب الجنسى والدينى عند العرب ، وأن في عصور الاسلام الزاهرة كثيرين من الحكام والقواد والعلماء وقادة الرأى من غير العرب أو المسلمين. وذكر أن صلاح الدين الأيوبي كان كرديا ، وإمام المحدثين البخارى والطبرى وابن رشد وابن خلدون لم يكونوا عربا أصليين

واختتم محاضرته قائلا :

« وقبل أن أختتم كلمتى يجب على أن أوفى المصريين حقهم من الثناء لما أدوا من الأعمال فى خدمة اللغة العربية ، وقد عرفت من هؤلاء كثيرين وتشرفت بصداقتهم فى سنة ١٩٠٤ عند ما حللت القاهرة لأمر يتعلق بالجامعة ، وكان لى شرف الاتصال بالامام الكبير المرحوم الشيخ محمد عبده، وعرفت كذلك المرحوم السيد رشيد رضا الذي كتب سيرة الشيخ محمد عبده وكان صاحب مجلة المنار ذات الفائدة الكبيرة لكل من تصدى لدرس الاسلام ، والعالم السيد توفيق البكرى صاحب المؤلفات النفيسة، والصحافى الكبير الدكتور فارس نمر ، وزميله العالم المرحوم الدكتور يعقوب صروف والمرحوم جورج زيدان ، وشاعر مصر المرحوم حافظ ابراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقى وقد أسمعنى قصيدته عن أثينا، والمرحوم سليمان البستانى مترجم إلياذة هوميروس إلى العربية ، وكذلك اتصلت بالشيخ طنطاوي جوهرى صاحب تفسير القرآن والذى جاهد كثيرا فى التوفيق بين العلم والدين ، وعرفت أخيرا البحاثة المرحوم أحمد زكي باشا الذى شغف بجمع الكتب القديمة والمخطوطات، وكان لى شرف الاتصال عن طريق المراسلة بالمرحوم تيمور باشا . ويرجع الفضل فى نهضة مصر إلى هؤلاء العلماء الأجلاء الذين نهض كل منهم بنصيبه فى خدمة اللغة والعلم »

مصر المستقلة

تعمل جماعة « الدراسات الاسلامية » بمعهد دراسات السياسة الخارجية فى باريس على وضع مجموعة من المؤلفات عن العالم الاسلامى ، ولا شك فى أن المكانة التى يحتلها وادى النيل فى هذا العالم جعلت القائمين بأمر الجماعة المذكورة يوجهون إليه اهتمامهم ويضعون المؤلف الأول من مجموعتهم عن « مصر المستقلة » .

وقد قسم الكتاب إلى أربعة أقسام : الأول خاص بالتطور السياسى والاجتماعى فى مصر وهو يتناول تكوين الدولة المصرية

(١٨٠٥ – ١٩١٨) وحالة الأمة المصرية غداة الحرب وتطورها من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦ ، والأزمة الأنجليزية المصرية السياسية بعد الحرب ، وفترة الانتظار من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٤ ، وتطور الشبيبة المصرية وتحرير مصر بمعاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦

والقسم الثاني خاص بالأجانب ونظامهم في مصر وهو يبحث نظام الامتيازات قبل مؤتمر مونترو ومصالح الأجانب في مصر ، ومؤتمر مونترو ونتائج هذا المؤتمر .

والقسم الثالث خاص بالحالة الاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية في مصر .

والقسم الرابع والأخير يتضمن دراسة خاصة عن تاريخ الصحافة المصرية وتطورها ، وفي ختامه كشف بجميع الصحف والمجلات من عربية وأفرنجية التي تصدر في مصر .

ومن يتصفح كتاب « مصر المستقلة » يجد أن هناك مجهوداً كبيراً قد بذل في وضعه لاسيما وأنه يتضمن معلومات وافية عن التطورات السياسية التي مرت بوادي النيل في الأشهر الأخيرة .

مجمع علمي أدبي في حيدر أباد

جاء من مراسل الشرق العربي في بماي أن لفيفاً من رجال العلم والأدب في حيدر أباد أسسوا مجمعاً علمياً باسم (مجمع حيدر أباد) لتشجيع التأليف والأدب . وسيعمل هذا المجمع برعاية شخصيات كبيرة بينها أمير بيرار وسرأكبر حيدري رئيس مجلس وزراء حيدر أباد والمهراجا كيشن برشاد بهادور . ونواب سالار رجونغ بهادور وغيرهم . وسيصدر المجمع مجلة باللغة الأنجليزية ولغة الأوردو وينشر فيها أبحاث أعضائه ومقتطفات من مؤلفاتهم وترجمة بلغة الأوردو لدائرة المعارف الاسلامية . وستنشر المجلة أيضاً أبحاثاً عن المؤلفات المدونة في اللغات السنسكريتية والفارسية والعربية والهندية المختلفة ، وقد انتخب نواب مهدي يار بهادور مدير جامعة (عثمانية) وعضو مجلس حيدر أباد التنفيذي التهذيب والسياسة رئيساً للمجمع .

كتاب عن فلسطين في ثورتها

لم ير العالم ثورة صادقة الايمان كتلك التي شب أوارها في فلسطين ، والتي يجود فيها العرب بأرواحهم وما ملكت أيمانهم في سبيل الذب عن وطن يحاول اليهود أن يجعلوا منه أرض المعاد ، ويتخذوه وطناً قومياً لهم ، بعد أن شردوا طول الزمن .

فلا عجب أن لفتت هذه الحركة العربية أنظار الكتاب والسياسيين على السواء فصدرت عنها المؤلفات بأقلام من تعنيهم دراسة هذه الناحية ومن ذلك كتاب A Land Divided by Elizabeth Montogomery ألمت فيه مؤلفته بالثورة في فلسطين ، وما قدمه العرب من تضحيات عجيبة ، ورفضهم أن تكون فلسطين وطناً لليهود تنفيذاً لوعد بلفور ، وأبوا أن يجعلوا هذه الأرض المقدسة « عند المسلمين والنصارى على السواء أرضاً للفئة التي لقيت المسيحية منها أشد عدوان في مستهل ظهورها ، وناهضت المسيح ما وسعتها الحيل وأسعفتها القوة » وقد زارت السيدة الزائرة مؤلفة هذا السفر فلسطين ، وجالت في نواحيها ، واتصلت بكثير من رجال العرب والثورة هناك فلم تر فيهم إلا « توطيد النفس على عدم تقسيم فلسطين العربية » وهي تصف في دقة الشهامة العربية التي مهدت السبيل للعرب في أمسهم الدابر لأن يكونوا سادة أهل العصور الوسطى .

وتقول المؤلفة « إن عجلة الزمن تسير في وناء في هذه البلاد (فلسطين) التي يرجع تاريخها لا إلى عدة قرون فحسب ، بل إلى آلاف السنين الغابرة . وإن التلال الخالدة ، والصخور الباقية منذ القدم التي شهدت مجيء ابراهيم بماشيته ، وأطلت على قطعانه وقومه ، لتشهد اليوم أرضاً قد ألقيت البغضاء بين أهلها . وإن العرب واليهود ليقفون اليوم وجهاً إلى وجه متخاصمين متنابذين . لقد كان أحد الخصمين يتكئ من قبل على مال وثرائه في نيل مطالبه ، أما اليوم فتؤيده القوات ، ويشد أزره أعضاء منه في مختلف الحكومات ، وأما الخصم الآخر فلا يملك غير إعانه بحقه ، وإنه ليستشهد مقبلاً غير مدبر ، باسماً غير عابس ، راضياً غير مكره ، حتى ينال مطلبه أو يموت دونه شهيداً »

وهكذا نرى المسألة الفلسطينية اليوم لم تعد شغل الساسة فحسب ، بل كان من آثارها هذه الكتب التي تتناول فلسطين من نواحيها المختلفة ، كما استطاع العرب بفضل ثباتهم أن يجتذبوا إلى جانبهم العطف الأدبي عند كثير من رجال الحكومات المختلفة .

من الأستاذ الكرملي إلى المرحوم الرافعي

« لما أصدر المرحوم الرافعي كتابه « وحي القلم » في يناير سنة ١٩٣٧ أهدى نسخة منه إلى صديقه العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي عضو المجمع اللغوي ؛ فبعث إليه بالرسالة التالية وفيها مسائل لغوية يطلب حلها ، وقد وقعت لي هذه الرسالة بين ما خلف الرافعي من أوراق ، ولم أعلم ماذا كان رد الرافعي عليها ، فآثرت نقلها إلى قراء الرسالة ليروا رأيهم في هذه المسائل اللغوية التي تناولتها رسالة العلامة الكرملي . وهذه هي الرسالة :

إلى حضرة فخر بلغاء المصريين الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي ، رفعه الله إلى أعلى مقام

أبدأ كلمي هذه بتأدية عبارات الشكر الصادق للهدية التي أطرفتني بها وأنت نابغة بلغاء مصر على ما أعتقده في صميم القلب . وأحسن دليل لذلك أني اقتنيت جميع مؤلفاتك وزينت بها خزانتي فأرجع إلى مطالعتها الفينة بعد الفينة كلما أردت أن أنزه نفسي وأطربها وأريحها من متاعب الحياة . إذن حل عندي «وحي القلم» محلا وفيا لما حوى من مختلف الموضوعات التي جاءت بأفصح عبارة وأبلغها ، بل تتحدى كل كاتب أن يأتي بضرعها ؛ ولاسيما لأن أغلبها لم تمر على خاطر من سبقنا في الكلام ؛ ولهذا اعتبرت دائما الأستاذ الرافعي جاحظ العصر ، أو ابن مقفعه ، أو بديع زمانه . وقد نصحت لكثيرين من أبناء العراق أن يطالعوا ما كتبه أو يكتبه إذا أرادوا بالجري فالسبق في ميدان الفصاحة والبلاغة ورفيع الانشاء ، فأخذوا بكلامي

بقي الآن أن أسألك عن أشياء لم أستطع أن أهتدي إليها ، فالرجاء منك أن تعينني على تفهمها :

١ — جاء في الجزء الأول في ص ٦ ذكر (الكهربائية) والذي أعلمه أن الكهربا مقصور لاممدود . وقد صرح بذلك صاحب تاج العروس ؛ وجاءت بالقصر أيضا في جميع أسفار الأقدمين من العصر العباسي ، فان صحت هذه الرواية أفننسب إليها بالهمز أم بحذف الألف فيقال كهربي وكهربية كما يقال مصطفيّ ومصطفية على ما صرح به سيبويه ، وإلا فأي فصيح قال كهربائي ؟

٢ — في ص ٨ ورد ذكر (المصنع) والعرب لم تنطق به . على أن القياس لايمنعه ، وقد ورد في الصحف والكتب المصرية ولا يزال يرد بهذه الصورة ؛ لكن ألا يتخذ الكاتب البليغ الكلمة التي جرت على أسلات السلف وهي (الطراز) فقد قال في القاموس : « الطراز . . . الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة » ؟

٣ — وفي ص ١٠ ذكر (الديناميت) فلو قيل البارود الناسف أو أنا نكتفي بقولنا (الناسف) أو (النسّاف) كما يقول العراقيون ، عامتهم وخاصتهم ، أما يكون أحسن ؟

٤ — وفي ص ٣٤ جاء ذكر (ملك الزمن الربيعي) ، وأنا لم أجد إلى الآن فصيحا نسب إلى الربيع بإثبات يائه بل قال (الرَّبْعي) فهل عثرت على مثل كلامك في (كتاب بليغ صحيح قديم) ؟

٥ — وفي تلك الصفحة قيل (يضحك ويستحي) وقد تكررت استحى يستحي بزنة افتعل يفتعل مرارا كثيرة وقد أنكرها بعض الفصحاء وقالوا في مكانها استحيا يستحيي

٦ — وفي تلك الصفحة (تراها — أي الطاقات — عطرة بيضاء) وأنا لم أجد إلى الآن في شعر أو نثر من وصف جمعا مؤنثا سالما لعاقل أو لغير عاقل بوصف مفرد مؤنث وهي من باب أفعل فعلاء الدال على لون أو عيب أو حلية . فهل مرت تحت عينيك هذه الصيغة في كلام قديم بليغ من أهل الجاهلية أو صدر الاسلام ؟

٧ — وفي ص ٣٥ ورد : (تعطي لكل شيء تماما) وهو تعبير جائز ؛ لكن ألا يكون أبلغ لو قيل : تعطي كل شيء ؟

٨ — وضبطت (البلُّور) في ص ٤٤ وزان تنُّور ، كما في القاموس ؛ لكن اللغويين البصراء الحذاق الأئمة أنكروها وفضلوا عليها البِلَّوْر وزان سِنَّوْر ، كما في اللسان ولم يعرفوا سواها . فما الجواب ؟

٩ — في ص ٤٥ (تحتاجه الحياة) وهذا من باب الحذف والوصل ، وهو كثير في كلامهم ؛ لكن أليس الأبلغ أن يقال (تحتاج إليه الحياة) ؟

١٠ — كنت أظن أن (البركان) الوارد في ص ١٠١ وسواها لفظة لاتعرفها العرب الأقدمون ؛ بل كانوا يعرفون (الأطمة) ، أفليس الأحسن لنا أن نقر ألفاظ السلف على ألفاظ الخلف التي لم يعرفها الأوائل وفيها خلف ظاهر ؟

١١ — ضبطت في تلك الصفحة (وغلظته) بضم الميم وأنا لم أجدها في معجم .

١٢ — وكثيرا ما جاءت (النواميس) ومفردها (الناموس) في وحي القلم ففي ص ١٠٢ (إن النواميس الطبيعية) وفي ص ٩



الحيوان للجاحظ

تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أقدم عملا عظيما فى لون من ألوان الأدب المصرى لم يوجد إلا بعد أن وجدت المطبعة ، ووجدت بحوث المستشرقين وفن إخراج الكتب

وهو عمل يتصل بالعلم بما فيه من التحقيق وتحرير النصوص ، ويتصل بالأدب بما فيه من ملكة التذوق والترجيح واستفتاء الثقافة الأدبية والاعتماد على المحفوظ المذكور من نصوصها ، ويتصل بالفن بما فيه من تنسيق وتبويب وإخراج جميل يروع ويجذب العين واليد إلى الكتاب

وكاد هذا العمل يكون خاصة موقوفة لأقلام علماء الشرقيات الأجانب لولا نفر قليل من المشارقة أنفسهم ساهموا بأقلامهم فى هذا العمل النافع القيم الذى هو فى الحق ميلاد جديد للكتب القديمة تهتز له عظام مؤلفيها القدامى غبطة بتسهيل الانتفاع بما تركوا من آثار جليلة قد يذهب بما فيها من الفائدة عند شباب هذا الزمان أنها ألفت على غير ما ألفوا من الكتب الحديثة المبوبة التى يعلن فيها كل مبحث عن نفسه فى سهولة واقتراب إلى الأذهان التى لم تتعود الصبر والجلد على التعرف إلى الآثار القديمة لانقطاع الأسباب وبعد الزمن وتغير الأساليب وكثرة الملاهى وحب السرعة ، ومرض الهمة وكلال العزيمة

وإذ أقدم هذا العمل العظيم أشعر فى نفسى بغبطتين : الأولى غبطتى ببعث مكتبة الجاحظ أديب العربية العباسية الأكبر ، ووارث علوم علمائها وأدب أدبائها وخفة ظرفائها ، وسجل دنياها الزاخرة ، ومصور حياتها المتشعبة ، ببعث فيه من الجدة والفن والطرافة ما يخيل إلينا أنها انحسرت عنها قريحة معاصرة

والثانية غبطتى بأن هذا البعث كان على يد صديقى الثبت الضليع الأستاذ عبد السلام محمد هارون الذى أعرفه كما أعرف

من الجزء الثانى : (فى تحقيق ناموس) ؛ وقد تكررت الكلمة مفردة ومجموعة . وكنت أتوهم أن العرب لم تعرف هذه الكلمة بمعنى (السنة) وإنما جاءت بمعان أخر مذكورة فى دواوين اللغويين . أما الناموس بهذا المعنى (أى بمعنى السنة) فقد أدخلها (النصارى) المعربون منذ صدر الاسلام لوجودها فى التوراة والانجيل بهذا المعنى . وكذلك تراها مبثوثة فى كتب المنطق والفلسفة والطبيعة والطب واللاهوت وماوراء الطبيعة ؛ لكن فصحاء المسلمين لم يحققوها ولم يقروها فى أسفارهم ولا فى معاجمهم ، فهل وجدتها بهذا المعنى فى الدواوين القديمة فى غير ما أشرت إليه من التصانيف ؟

. . . هذه بعض أسئلة — وليس فيها شىء من النقد ، معاذ الله — وقد خطرت ببالى وأنا أتلذذ بتصفح هذا السفر الفذ ، وأتوقع الجواب عنها . فعسى ألا أحرم أنوارك المبددة للظلمات ، وأختم كلمتى هذه بالشكر ثانية لأياديك البيض كما بدأتها به . (الأب أنستاس مارى الكرملى)

* * *

. . . فالى اللغوى العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، أن يتفضل على قراء الرسالة بنشر ما قد يكون وصله من جواب الراقى على هذه المسائل

والى اللغويين من قراء الرسالة أن ينشروا على القراء رأيهم فى جواب هذه الأسئلة ، وإلى النقدة من كتاب العربية أن يقرءوا هذه الرسالة لعلهم يجدون منها مثلا فى أدب النقد

وفى صفحات الرسالة متسع إن أذن الأستاذ الزيات .

محمد سعيد العريان

نفسي إذ كان صديقي الأول وصنوي في عهد الدراسة العزيز

وأخشى أن يحسب حاسب أنه قد طغى وثوقي بهذه الشخصية وحبي لها على تقدير عملها في «الحيوان» تقديراً بعيداً عن الغلو، كما أخشى أن يظن ظان أن الأمر في هذا التقديم مرجعه إلى «تقريظ» الصداقة وتقريظ الأصدقاء بعضهم بعضاً. وحسب ذاك الحاسب وهذا الظان أن يرجعا إلى الجزء الذي طبع من الحيوان ليريا المجهود فيعرفا الشخص الذي بذله كما عرفته أنا منذ خمس عشرة سنة أديباً متصلا بصميم الأدب العربي مقلباً يده وعينه في مراجعه القريبة والبعيدة ممتاحاً من حُر نصوصه.

وإذا كانت الأمور تقاس وتقدر بما يبذل فيها من مجهود لا نتيجته النافعة فأظن أن ما في المطبوعة الحديثة من الحيوان من التحقيقات وتحرير النصوص وفهارس المعارف وأجناس الحيوان وأعلامه وأعلام الناس والقبائل والطوائف والبلدان والأماكن والأمثال والشعر والأرجاز واللغة والكتب وأيام العرب، أظن هذا كله عملا أشق وأنفع من كثير من الكتب التي يرسلها مؤلفوها إرسالا سهلا. وأظن أنه يستتبع تقدير صاحبه تقديراً ترضى به نفسه. وقد صار العلم الآن بما في الكتب القديمة سهل المورد بأمثال هذه الفهارس التي تنفض ما في الكتب نفضاً، وتعلن عن كل كلمة فيها إعلانا عريضاً يأخذ بعيون الباحثين إلى ما يلقون من الأشباه والنظائر والمختلفات، مما يوفر عليهم الجهد والوقت والاستذكار، حتى لقد شاعت هذه الكلمة «إن العلم الآن معرفة ما في الفهارس»

وقد ابتدع الأستاذ هارون فهرساً قيماً لما في الحيوان من المعارف التي وضع لها هو أيضاً عنوانات فصلت أثناء الكتاب، وهو لون طريف في التعريف بما ورد في الكتاب حشوا في غيره، مما قد يمر عليه القارئ عفواً بدون ترقب ولا تعقب؛ وهو عمل عظيم في كتب شأن مؤلفيها الاستطراد وإلقاء ما في الذاكرة متى حضر ولو بدون مناسبة قريبة، وإنما هو جود الذاكرة.

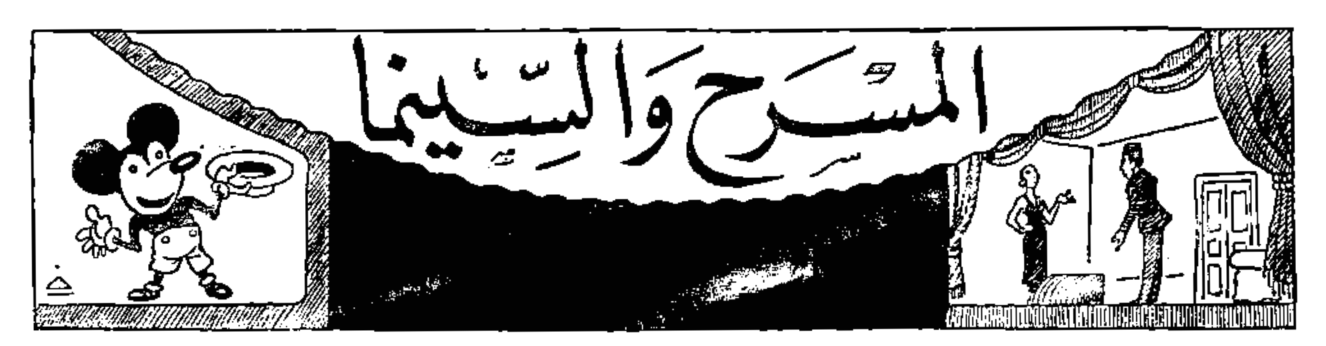
والأوائل كانوا على رأي في الأدب هو أنه الإلمام من كل شيء بطرف، ولذلك كانوا يخرجون كتبهم الأدبية إخراجاً يرضي هذا التعريف. فكانت كتبهم الغالبة أشبه شيء بحديث المجالس وأماليها. غير أن هذا اللون من التأليف نبا عنه الذوق العصري الذي لا يرضى من المعارف إلا ما كان فصائل وأجناساً مضموماً بعضها إلى بعض مميزة بعنوانات تضم الشتيت كما يضم اللقب الأسرة، ولا يرضى أن يذهب فكر القارئ شعاعاً وبددا هنا وهناك وقت القراءة.

وعلى ذلك كل عمل يرشد القارئ الجديد إلى ما يبحث عنه في بطون الأسفار القديمة رأساً بدون اضطراره إلى الخوض في بحر لا ساحل له، وفي مباحث لا حاجة له إليها، فهو عمل من أجَلّ ما يربط أسباب الجديد بالقديم ويجلو الدرر المدفونة بين طيات الكتب التي فيها كثير من الحصا والتراب.

وقد قدم الأستاذ هارون «مكتبة الجاحظ» التي «سيعمل جهده على إخراج ما يمكن منها بعون الله ما مد له في الحياة» تقديماً بديعاً تحدث فيه عن بيان الجاحظ وعصره والتأليف في ... ومؤلفات الجاحظ ومنحاه في التأليف وقيمة كتبه في نوادي الأدب وذيوعها ووراقيها. وقد أتى في هذا الحديث بفوائد ممتعة.

وقد قدم كذلك كتاب الحيوان تقديما خاصا عرض فيه لمنشأ التأليف في الحيوان عند العرب ولمراجع الجاحظ في تأليف كتابه من القرآن والحديث والشعر العربي وكتاب الحيوان لأرسطو ومحاولات المعتزلة وجدالهم فيما بين أيديهم من ألوان المعارف جليلها ودقيقها؛ ثم المجهود الشخصي للجاحظ وولوعه بمباحث الحيوان ولوعا حمله على أن يجالس الملاحين وصائدي العصافير والحوائين وغيرهم من القائمين على شئون الحيوان. وهو لعمر الحق مبحث في غاية النفاسة وفي صميم الأدب الأصيل اهتدى إليه الأستاذ هارون ابتداء، لم يسبقه إليه سابق فيما أعلم. ومن المباحث القيمة أيضا في هذا التقديم تحقيق زمن تأليف الجاحظ للحيوان وتبيين قيمة كتاب الحيوان بما فيه من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية وسياسة الأقوام والأفراد ونزاع الطوائف، والمسائل الجغرافية وخصائص الأجناس وقضايا التاريخ وأحاديث الطب والأمراض والمفردات الطبية، وأحوال العرب وعلومهم ومزاعمهم، ومسائل كثيرة في الفقه والدين، مضافا إلى ذلك كله فكاهة الجاحظ الساخر، أو فلتير الشرق — كما لقبه الأستاذ الزيات — واختياره للصفوة المختارة من حر الشعر العربي ونادره . . . إلى آخر ما تمتاز به مؤلفات أبي عثمان البحر . . .

«وبعد» فنظرة واحدة إلى صفحة من صفحات الكتاب بصلبها وهامشها تقف القارئ مباشرة على مقدار الجهد المنيف الذي بذله الأستاذ الصبور محقق الكتاب، في ضبط الألفاظ



أخبار الأسبـــوع

شيء من لاشيء

يبتدأ اليوم ١٠ أكتوبر فى عرض فلم (شىء من لا شىء) على ستار سينما استوديو مصر وهو من أفلام استوديو مصر لهذا الموسم . وبطلاه هما عبد الغنى السيد (هلال) ونجاة على (نجمة) والفيلم غنائى كوميدى اشترك فيه ججوم وشفيق والقصرى من كبار ممثلى الكوميدى فى عالم المسرح المصرى . وهو من إخراج الأستاذ (بدرخان) . والمنتظر أن يمتد عرضه بضعة أسابيع ، لأنه يعتبر تحفة الموسم الفنائية بغير منازع

وشرحها وفي مقابلة النسخ القديمة التى اعتراها كثير من التصحيف والتحريف ، وفي أمانته وحرصه على استئذان القارىء فيما أثبت أو نق من أوضاع الكتاب وكلماته وتوجيهاته . مع تواضع جميل يعرف فى طبعه كما يعرف فى قوله من تقديم الكتاب : « وأما أنا فلست بمكان من يدعى العصمة أو يخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه وتعلق بالباطل

« ولكننى يعجبنى أنى بذلت فيه غاية الجهد وأنى التزمت جانب الأمانة فلم أسقط حرفا ولم أزد حرفا إلا استأذنت القارئ »

ثم نظرة أخرى إلى ثبت مراجع تقديم الكتاب وتحقيقه وشرحه ترى القارىء مقدار سعة اطلاع الأستاذ واهتدائه إلى مواطن الفتوى فيما يشتبه عليه من خبر أو نص أو توجيه وإلى ما يعتمد عليه فى إخراج هذا السفر الجليل وما وراءه من مكتبة الجاحظ

فجزاه الله الكريم وأمتع به أصدقاءه ونفع بجهوده الموفقة اللغة العربية

والشكر الجزيل لحضرات ناشرى الكتاب فى ثوبه الأنيق وورقه الفاخر وحروفه الواضحة

عبد المنعم خلاف

مارجريت لوكوود

اختيرت (مارجريت لوكووود) بين ثلاثة وعشرين نجمة ، نموذجا للفتاة الانجليزية وذلك للقيام بتمثيل الدور النسائي الأول فى فلم (أود بوب) الذى يخرجه الكسندر كودرا . كما اختير النجم الانكليزى (جون لودر) لتمثيل الدور الأول بعد أن كان ترتيبه الأول فى نفس المباراة للرجال ويرى القارئ صورتهما مع هذا الكلام

الدكتور

المنتظر أن يكون الأستاذ نيازى مصطفى فى نهاية هـذا الأسبوع قد انتهى من تصوير الديكورات المارة فى فيلم الدكتور وبذلك لا يبقى غير إجراء المونتاج النهائى وذلك تمهيداً لعرضه قريباً .



ومما هو جدير بالذكر أن السيدة دولت أبيض تقوم فى هذا الفيلم بدور هام كبير يتفق مع سنها وأدوارها المسرحية . وقد سبق أن ذكرنا أن بطليهما الأستاذ سليمان نجيب والآنسة أمينة رزق وبهذا الفلم تكون المفاجأة الثانية للاستوديو لهذا الموسم

يوسف وهبي على مسرح ماجستيك

يستعد الأستاذ يوسف وهبي استعداداً كبيراً لافتتاح موسمه الأول لهذا العام على مسرح الماجستيك بشارع عماد الدين ، وهو المسرح الذي كان يعمل به على الدوام الأستاذ على أفندي الكسار . . والمعروف حتى الآن أن الأستاذ وهبي يبدأ بروايات قوية جديدة وأن الروايات السابق تمثيلها لن تمثل إلا في أيام العيد . ونحن نرجو أن يصادف الأستاذ وهبي في موسمه الشتوي ، وخاصة في شهر رمضان المبارك الذي يبدأ فيه عمله ، ما صادفه في موسمه الصيفي على مسرح الليدو بالجيزة ، فقد ضرب الأستاذ يوسف في هذا الموسم كافة أرقام الدوام القياسية السابقة

في سبيل الحقيقة

قامت جماعة أنصار التمثيل والسينما في يوم الخميس الماضي بتمثيل رواية (في سبيل الحقيقة) مسرح الحمراء بالأسكندرية في الحفل السنوي الذي تقيمه جمعية المواساة ويشرفه حضرة صاحب الجلالة الملك . ومن الأقوال المعادة أن نقول إن أفراد الفرقة جميعاً ، والممثلات اللواتي استعين بهن من الخارج ، قد أجدن أدوارهن إجادة تامة واستحققن من أجلها تهنئة المليك وعطفه السامي ، وهو جد غال ولا يكون إلا في موضعه . . وقد ضحك الجمهور كثيراً لدى سماعه شخصية الدكتور التي كان صورة طبق الأصل من الدكتور محجوب ثابت بـ... وشخطاته ونظراته . . ؟

لوتس فلم

من الله على السيدة آسيا مديرة شركة فنار فلم بالشفاء ، وقد بدأت الشركة في تصوير فلمها الثاني لهذا العام ، ونحن نهنئها بالشفاء ونتمنى لها توفيقاً كبيراً

ميرنا لوى

— تظهر (ميرنا لوى) في فيلم (جابل) الجديد واسمه (ساخن ولا يمكن لمسه) ... وهو من انتاج المترو جولدوين ماير وسيعرض في الرويال بالقاهرة

بيتي ديفيس

— تظهر (بيتي ديفيس) في فيلم (جيزبيل) مع النجمين الشهيرين (هنري فوندا) و (جورج برنت) وهو من أقوى أفلام الموسم الحالي للبراموت